بنت حور العين

اسم الرواية: **بنت حور العين**.

اسم المؤلف: **مريم جهاد**.

تدقيق لغوي: **دينا عبد الله**.

تصميم الغلاف: **محمد دربالة**.

إخراج داخلي: **ساندي شريف إبراهيم**.

رقم الإيداع: 2021/2300

الترقيم الدولي: 978-977-844-108-1

جميع الحقوق محفوظة للناشر

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.

وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

Email: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

مريم جهاد

بنت حور العين

إبهار
للنشر و التوزيع

إلى كل من بكى دموعًا؛ فتأسف لذاته،

إلى كل من أهلك عقولًا؛ فتاب عنها،

إلى كل من حلم؛ فسعى للتحقيق،

إلى كل من ذاق مرًا... فحمل طفلًا... فأسعده.

لا مقدمة؛

المقدمات ما هي إلا بدايات واهية؛ ولكن لا بداية لحور إلا يوم ولادتها... فلتكن عبرتها في نهايتها.

البداية

بداية كل صرخة وجع.

أول مرحلة من مراحل اليأس هي التلوث

يبدأ التلوث من كلمة، من إهانة، من تعنيف

من ذاك الطفل الذي لا يفهم لماذا تصرخ عليه أمه، الذي يضربه أبوه والذي يضحك عليه الناس.

جلسنا تحت شرفة جدي في انتظار اللاعبين الآخرين ليجدونا. أحب لعب الغميضة، لكني أحب أن أختبئ بدل أن أكون الشرطي؛ لأنني عاجزة عن العد، عندما أخبرت أصدقائي في المدرسة القديمة أنني لا ادرك الحساب؛ ضحكوا عليّ لذلك؛ فعدت إلى المنزل وأنا أبكي..

عانقتني أمي، وبدأت في صنع الفطائر لمصالحتي، ضحكت قليلًا ولكن عندما ذهبت إلى الفراش بدأت أبكي من جديد، كلمات أمي تتردد في رأسي وجعلت حالتي أسوأ قليلًا.

"أنتِ" رددت مرتين موجهةً بسبابتها إليّ: "صديقك الحقيقي الوحيد، سيأتي الجميع ويذهبون، لن يتبقى أحد هناك في أوقاتك السيئة فتعلمي مواساة نفسك"

ظللت أومئ برأسي للكلمات التي لا أفهمها ولكني كنت سعيدة؛ لأنها كانت تصنع لي الفطائر وتتحدث معي، أمي عادة لا تتحدث معي كثيرًا، ولكن منذ أن كنت عائدةً إلى المنزل أبكي كانت تساعدني على الشعور بالتحسن.

انضممت للروضة عامًا واحدًا بعدها انتقلت إلى الابتدائية في مدرسةٍ ما في بلاد أخرى، بعد سنة واحدة فقط! وقالوا إنني ذكية بما يكفي لتخطي السنة الثانية من رياض الأطفال والالتحاق بالمدارس الابتدائية على الفور، استغرقت أختي الكبرى عامين في رياض الأطفال، والآن نحن في نفس الصف _الأول الابتدائي_ أخبرني الأطفال أنني يافعة جدًا أن ألعب معهم، ولم يكن بإمكاني إخبار نغم أو أمي؛ لأن نغم كانت تحاول تكوين صداقات

وكنت خائفة من أنها ستقاتلهم من أجلي، كنت آمل أنه عندما يكونوا أصدقاءً لها؛ فإنهم سيظهرون لي بعض الاحترام.

أدركت أمي أن هناك شيئًا ما يضايقني؛ لأنني لم أكن أريد المداومة كل يوم فأنا لم أتحدث عن تكوين صداقات، وبالتالي شعرت أن هناك شيئًا ما غير صحيح، بقيت تخبرني كم هو عظيم أن أكون الأصغر، وهذا يدل على أنني سأحقق الكثير في سن مبكرة، ثم علمتني كيف أحسب إلى العشرين، لكنني لا أعرف ما الذي سيأتي بعد ذلك، لذلك عندما انتهيت من حساب عشرين، أبدا بأن أحسب عشرين آخرين ثم عشرين آخرين؛ حتى أشعر أنهم جميعًا يختبئون وآمنين، عندما ضحكوا عليّ في مدرستي للمرة الثانية قلت لهم إنني أمزح وأنا أحسب جيدًا! لا أستطيع أن أخبر أبناء عمي أنني لا أعرف كيف أحسب كذلك أو أنهم سوف يضحكون علي كذلك.

كانوا يطلبون مني دائمًا أن أكون صيادًا وأن أعد إلى ثلاثين، في البداية كنت أعد إلى عشرة ثلاث مرات على أصابعي، لكنني كنت دائمًا ألهث وأشكك إذا عددت الأرقام صحيحةً، وكان الأمر صعبًا حتى بعد أن تعلمت إغلاق عيني وأتظاهر أنني كنت أعد خمسة عشر نبضة قلب.

اليوم هو عيد ميلادي، لذا وعدوني جميعًا بالسماح لي بالاختباء إذا كان هذا ما أريد.

رواق جدي كان يغطيه غبارًا كثيرًا وكان مليئًا بالرمال، وقال (سامي) إنه من الأفضل أن نختبئ هنا ولن يجدنا أحد. (سامي) في الثامنة من عمره، أي أنه يكبرني بعامين، لذلك أعتقد أنه أعلم أي لن يمسكنا الصياد. (سامي)

بجانبي ملقى على بطنه، قميصه مليء بالتراب، وكلانا يسعل عندما نتنفس الرمال، سعل (سامي) بصوت عالٍ بجانبي، فهمست له:

– اهدى هيلاقونا!!

أحببت الاختباء لأنه سلمي جدًا، سلمي للغاية على الرغم من أني أعلم أنهم آتون، وسوف يمسكون بي إذا لم أستطع الاختباء جيدًا في هذه اللعبة، لكن كونك الشخص المختبئ يعني أنه بإمكانك رؤيتهم، لكنهم لا يستطيعون رؤيتك؛ فهو يشبه كونك غير مرئي؛ أحب أن أكون غير مرئية، صرخت إحدى الفتيات في مكان قريب عندما أمسكوا بها، و هربنا جميعًا من هناك حيث اختبأنا، صرخت فتاة أخرى بينما يظهر الصياد أمامنا، أركض بحثًا عن الأرض الآمنة بالطريق المعاكسة عن تلك التي يركض لها جميع الأطفال. ربما إذا انحرفت عن طريقهم فسأكون قادرةً على الفرار ولن يلاحظني ويذهب للأولاد الثلاثة المتبقين.

فهرولت مسرعةً، أركض وأركض لأنني خائفة من أن يطلقوا علي اسم "الخاسرة"، لأن هذا اللقب الذي نعطيه لمن يفشلون،

لا يمكنهم تلقيبي بالخاسرة في عيد ميلادي، لا أستطيع البكاء اليوم، قالت أمي قبل نزولي من المفترض أن يكون عيد ميلادي يومًا خاصًا بالنسبة لي؛ فظللت أركض حتى لم يعد بإمكاني التنفس، أحرقتني رئتي من شدة التنفس، لذلك أتوقف عن الركض لآخذ نفسي، ولكن عندما ارتفعت بناظري أتجول وأتفقد حولي اكتشف أنني بعيدة جدًا عن منزل الجد والمباني حول ليست مألوفة.

أنا لا أعيش هنا؛ فأنا أعيش في مكان بعيد جدًا، يمكنني ركوب الطائرة للوصول إلى هناك؛ فلا أدري شيئًا هنا ولا أعلم طريق عودتي نهائيًا، ولكنني أفحص وجوه الأشخاص الذين يمرون، ليس مألوفًا أو غير مألوفٍ، يمر بعض الوقت وأجلس على أرضية خرسانية على الجانب في انتظار شخص مألوف؛ شخص سيأخذني إلى المنزل، وسيأتي أبي ويجدني.... خذلني لأنه لم يأتِ.

أنا أنظر إلى وجوه الناس، أتفقدهم واحدًا تلو الآخر، يكاد قلبي يتمزق من الخوف ويدي ترتعش من الرعب... هناك! أشكر الله على رؤية أحد أبناء عمتي، لا أتذكر اسم هذا الشخص لأنهم كثيرون للغاية ولا أتذكر الكثير منهم، لكنه يكبرني بسنوات عديدة، كان يتسكع مع بضع الرفاق وتلتف أفواههم على أشياء بيضاء تشعل بلهيب منطفئ وتكاد أعينهم يظهر عليها الوعي، إذا استمريت في تأملهم أكثر سيذهب دون مساعدتي! فناديته "يا ابن عمي" لأنني لا أتذكر اسمه، لكنه لا يسمعني! لذلك وجدت نفسي أركض إليه، وأمسكت بذراعه حتى ألفت انتباهه لينظر إلي.

– إيه دا إيه دا.... مين منورانا؟

يقول وأصدقاؤه ينظرون إليّ بحرج، فدرست وجوههم، لا أحد منهم على دراية بمن أكون وهذا غالبًا لكوني غريبة عن هذه البلد.

– جايين نقعد شويا هنا مع جدو، آه والنهارده عيد ميلادي!

أشعث مبتسمة دون إظهار الفجوات الموجودة في لثتي؛ بسبب سقوط ثلاث أسنان، نظر إلي نظرة استفهام كأنه لا يستشف أسباب وجودي من ردي؛ فأوضحت قائلة:

– ماما خلتني ألعب مع العيال عشان متزعلنيش في عيد ميلادي.

تحجر وجهه لفترة من الوقت وهو يفكر، ولكني لا أعتقد أنه سيقول لا، لأنه عيد ميلادي ولا يمكنه أن يقول لي لا ويتركني هنا، ينظر إلى أصدقائه ويستمر أحدهم في النظر إلي بشكل مثير للريبة، بينما يقوم الآخرون بضرب ذراع ابن عمي ويهمون بالمغادرة.

– انتِ عارفة؟ أنا منستش إنه عيد ميلادك، وكمان جبتلك هدية عيد ميلاد..... بس للأسف نسيت الهدية فالبيت، تيجي يلا نروح نجبها؟

فقام بأخذ يدي يرشدني إلى طريق معاكسة من الطريق التي أتيت منه، ولكنني ثبت قدمي في الأرض ولم أتحرك، حذرتني أمي خصوصا من الذهاب لمكان بعيد دونها.... وأنا أعلم أنها محقة وأن لديها وجهة نظر مقنعة؛ لأن الكبار لا يخطئون.

– أنا عايزة هدية، بس مش هينفع أروح هناك عشان ماما قالتلي مروحش عند حد، وأنا مبحبش أزعل ماما عشان بتخاصمني ومبتحكليش حدوتة قبل النوم.

فضحك ضحكة خشنة وزادت قبضته خشونةً:

– تعالي يختي وأنا أحكيلك حواديت، انجزي عشان أنا تعبان، هتيجي وأروحك ولا تفضلي هنا؟

لا يتوقف الموضوع فقط على كون أمي ستغضب، ولكن بالإضافة إلى أنني أعلم أن كل شيء تقوله دائمًا ما يكون على صواب؛ لأن كبار السن لا يخطئون أبدًا وعلينا احترامهم لأنهم يريدون الخير لنا؛ فلم أتحرك من مكاني، وسالت دموعي من عيناي خوفًا من أنه سيتركني هنا في هذا الظلام... تقول أمي أنني شبيهة أبي في عناده، وأعتقد أن هذا صحيح.

– خلاص خلاص متعيطيش بس، هرن عليها دلوقتي.

قال فابتسمت؛ للحصول على هدية والذهاب إلى المنزل، لكنني أعلم أنه ليس لديه هاتفًا حتى الآن؛ كيف سيتصل بها؟

***

لا تلمسني، من فضلك، من فضلك، من فضلك!

صوت صغير يتردد في ذهني وأصبحت مخدرة وضعيفة على الفور، لكن دموعي تزداد قوةً، وتستهلكني، انتفضت عند شعوري بتلك الرعشة في يداي، غالبًا ما أستيقظ على تلك الكوابيس..

لن أبكي.

لن أبكي.

لن أبكي.

لكنني لم أكن سوى بركة دموع لا تتوقف عن الامتلاء، ولم أتوقف عن البكاء، ولم أتوقف عن التألم؛ فأنا ضعيفة، وأستسلم لأفكاري كل مره، أحاول أن أبقي تلك الصور بعيدةً عن رأسي، وأحاول أن أُعمي نفسي عن تلك الذكريات وأتوقف عن التفكير لإبقاء هذه الأفكار بعيدة، وأريد أن أحجب كل شيء؛

فهذا الإحساس الذي أشعر به الآن، تلك الحرقة والنكسة، إنه خارج عن الوصف...

أجبرت نفسي ألّا أشعر أبدًا بأي شيء أثناء النظر إلى النجوم، لأعد النجوم فقط، دون أي أفكار، أعدهم واحدةً تلو الأخرى، تلك النجوم التي لا تتواجد في الحقيقة ولكنها تتلألأ في خيالي، في ذكرياتي.. النجوم التي رسمتها حتى أُبقي بالي مشغولًا بها

لم أكن أعلم أن شخص بالغ أحترمه هو الذي سيكون سبب كسري، فلا عجب لما أعاني، لماذا منعت الإحساس بكل شيء؟ لم أكن سوى طفلة تريد اللعب!

كنت خائفة من الذهاب للنوم، وخائفة من الاستيقاظ، وخائفة من الشعور بالسعادة، لم أكن الفتاة الصغيرة التي تخاف من الوحوش تحت فراشها أو الاشباح في خزانة ملابسها، كنت الفتاة الصغيرة التي تخشى من الوحوش المتجسدة بشكل الإنسان،

أكرهه لأنه أخذ شيئًا ثمينًا بعيدًا عني، وأكرهه لأخذ سعادتي بعيدًا عني.

عندما أتذكر تلك الاشياء من وحدتي، أبدأ بالتخيل لإشغال بالي؛ فأتصور في أوقاتٍ ما أن هذه الجدران مدهونة بلون مختلف، وأن الزينه التي عليها من الزخارف، وليست حوائط بنية كالتي تحملها ذكراي، وأحيانا أرسم عليها الشاطئ واتخيل الدلافين تقفز وتتمايل في الموج البعيد، وأتخيل جلوسي على جبل ما، وأستمتع بمشاهدة غروب الشمس بهدوء، أو أنني أرتدي جوارب دافئة وألتف في ملابس كثيرة حاملةً في يداي شراب دافئ، وأجلس بجوار النار بين أحضان حبيبي الذي يحميني في حضنه الدافئ، أخترع أية قصة لتأخذني بعيدًا عن تعذيب عقلي، أريد أن أكون شخصًا آخرًا، في مكان آخر، مع شيء آخر لملء عقلي.

أريد أن أتحرر، أن أركض بعيدًا؛ لأشعر بالرياح في شعري، وأريد أن أدّعي أنّ هذه قصة داخل القصة، أنّ هذه الذكريات ليست سوى بعض المشاهد العشوائية من أفلام مختلفة تتطابق في رأسي، أنّ هذه النافذة تقودني إلى مكان أكثر هدوءًا من السيرك داخل رأسي فأتظاهر بأنني قوية، وبأنني لا أشعر..... وبأنني سعيدة، أتظاهر، وأتظاهر، وأتظاهر حتى يصبح العالم جميلًا ومفعمًا ومبهرًا خلف جفناي لدرجة أنه لم يعد بإمكاني احتوائه، ثم أفتح عيني وألتقي بتلك القبضة حول حلقي بزوج من الأيدي لا تتوقف عن الخنق، والخنق، والخنق.

أتساءل ما الذي يفكر فيه والداي؟ أتساءل ما الذي يريدونه أكثر؟ وأتساءل عما إذا كانوا على ما يرام الآن؟ إذا حصلوا في النهاية على ما يريدون؟ أتساءل عما إذا كانت والدتي ستتعامل مع أخواتي بطريقة مختلفة؟ أتساءل

عما إذا كان شخص ما سيكون لطيفًا بما يكفي لقتلي؟! وأتساءل عما إذا كان الجحيم أفضل من هنا! وأتساءل عن أشياء كثيرة...

أحيانًا أظل مستيقظةً لعدة أيام؛ أحسب كل ما أرى؛ الجدران، الشقوق الموجودة عليها، والخطوط الموجودة على أصابعي، أحسب عدد الخطوات التي أستغرقها لعبور الغرفة مرتين، أحسب أسناني وعدد الشعرات على رأسي، أحسب عدد الثواني التي يمكنني فيها كتم النفس...

لكن في بعض الأحيان أتساءل عما إذا كان بإمكاني الحصول على الشيء الوحيد الذي أريده؟! وأحيانًا أشعر بالتعب لدرجة أني نسيت أنه لم يعد مسموحًا لي أن أتمنى الأشياء بعد الآن، لكنني أجد نفسي أتمنى الشيء الذي أريده دائمًا؛

الحياة بِحُريّة مع من أحب، ولكني أنسى أنه في أغلب الأحيان

كان غريبًا، أتذكر التفكير؛

لقد كان غريبًا، الشخص الذي قيد يدي خلف ظهري وربطني على كرسي وهو يجلدني بعصا على ظهري دون أي سبب سوى أن يسمعني أصرخ، لكنني لم أصرخ، تألمت نعم، لكنني لم أصرخ أبدًا، شعرت بالدموع تنهمر على خدي، لكنني لم أبكِ. أعتقد أن عدم صراخي جعله غاضبًا؛ صفعني لأستيقظ رغم أن عيني كانت مفتوحة على مصراعيها، وأمرني أن أرتفع من على الأرض مع يداي المكبلتين، حاولت! حاولت القيام، لكنني لم أستطع فدفعني بيديه إلى الأرضية الخرسانية، أتذكر كم تمنيت العودة إلى المنزل.

كان مكانًا سعيدًا في ذلك الوقت، في ذلك الوقت فقط.

أنا استسلمت...

أنا معقدة للغاية، ولا أستطيع أن أكون تلك الفتاة التي تستحقه.

اتصلت به يومًا ما، وأخبرته كل شيء، لأنني شعرت بأني أغشه كوني أخفيت عنه شيئًا ما، لم أكن مهتمة إذا تركني فارس لأجل هذا الموضوع، ولكن كان عليه أن يعلم.

– عيشتي كل ده... بس متزعليش مني، متزعليش لو جبتلك حقك وكسرت عينهم.

ترجيته أن لا يفعل شيئًا؛ ففارس في غضبه لا يهون عليه من أجرم، ولكني طمأنته أني بخير وأني لم أتأثر قط، وأن الموضوع صفحة من الماضي وانتهت، ولكنه يعلم أني لست بخير؛ ما زلت لا أفهم لماذا أحاول الدفاع عن ذاك الذي حطمني... هل لأني لا أريد خسارة أبي نهائيًا؟ أم أني ضعيفة على الانتقام؟ لا أعلم، ولكنني متأكدة من أن حقي سيعود، لأن الله عوضني، وعوضي من الله هو فارس، وأنا لست مستعدة أن أخسره لقاء غضبي من ذاك المريض.

إنه لأمر غريب أن لا تعرف السلام أبدًا، وأن تعرف أنه بغض النظر عن المكان الذي تذهب إليه في المستقبل ليس هناك ملاذ من الماضي، فإن تهديد الألم لك مستمر لا ينتهي، و يكون دائمًا همسًا في أذنك يخبرك أنه يمتلكك، لم أكن آمنةً أبدًا بمغادرة منزلي ولم أستطع أن أشعر بالأمان خلال الستة عشر عامًا التي قضيتها في المنزل (وحيدة) مما أسفر عن مقتلي

كل يوم من جديد، وقد تعلمت الخوف من منزلي؛ فهو نفس المكان الذي حبسني فيه أبي في غرفتي كل ليلة لكوني البلاء التي أُجبر على تحمله.

الماضي لن ينسني أبدًا، ولكني تعلمت أن أخافه لعله يهاب صمتي.

"أتذكر كل شيء، كنت في السادسة من عمري أتذكر كل شيء؛ لأنه كان عيد ميلادي"

لا أستطيع تذكر متى جرني إلى السلم، شعرت بالبرد طوال الوقت، وكأنني فارغة ولا يوجد شيء بداخلي؛ بل كان هذا الإحساس بالنزيف وليس البرد، ولكن كان هذا إحساس القلب المكسور فقط؛ الجهاز الوحيد المتبقي في هذه الصدفة.

ضربني كثيرًا، والأسوأ أنني لم أكن أراه، فلم أعلم من أين ستأتيني الضربة... حرمت نفسي من أن أراه حتى لا تتلطخ صورته في ذاكرتي وإلا يطاردني وجهه في كوابيسي، ولكن صوته لازمني أينما ذهبت، لم أرد رؤيته فنظرت للأعلى؛ إلى الله، الذي يحب الخير لعبده... لماذا يكرهني؟ أنظر إلى السقف حيث تكون النجوم مرئية من حفرة كبيره تكشف السماء لسكان قبو التعذيب هذا... أتحسس الماء الذي يسقط على خدي؛ فكررت عد النجوم ولكني لا أزال أتوقف عند العاشرة... لا أعرف ما الذي سيأتي بعد ذلك فيجب أن أبدأ من جديد وأحصيها مرارًا وتكرارًا، وأتوقف عند العاشرة كل مرة لأنني لا أريد أن أشعر بأي شيء في الوقت الحالي.

بحزامه جلدني عدة مرات، في ذراعي، بطني، وظهري، كل ذلك أثناء صراخه وتعنيفه ولكني لا أسمع الكثير مما يقوله، تشغلني محاولة عدم

الصراخ، أعتقد أنه كان يحذرني من إخبار أحد عما فعله... وبات يخبرني كم هو آسف؛ فيعتذر ويهدد، ثم يعتذر ويهدد قليلًا بعد.

بينما يضرب الحزام قدمي مصصت الدم من شفتي و بقيت عيني مغلقة، أحاول ألا أبكي ألا أبكي ألا أبكي، لكنني أبكي

"امنعي الشعور" همس لي صوت بداخلي، نفسكِ تقتلكِ، احظريها، احجزيها بعيدًا وابدأي بالعد..... العد ١، ٢، ٣، ٤

كان قلبي ميتًا بعدها، وفقط عندما تحطم قلبي مرة أخرى في الآونة الأخيرة، أدركت أنه كان لا يزال ينبض.

قابلته مرارًا وتكرارًا، ذلك الفتى الذي لا أعلم عنه سوى لقبه، رؤيته كثيرًا تجعلني أشك إذا كان حقيقةً أم نسج من مخيلتي... صرت في أحيانٍ أتمنى أن يكون حقيقيًا حتى أحادثه، وأعرف ماهيته، ولكن في أحيانٍ أخرى تمنيت أن يكون هذا الشاب نتيجة خيالي المريض؛ لأني أعلم تمام العلم اني لا أصلح له، ولكن هل من المعقول أن تنسخ مخيلتك نفس الشخص وهو ينمو لأعوام كثيرة؟ تسعة أعوام؟ جعلني هذا الشاب الذي أجهل ماهيته أن أتمنى الحياة التي تستحقها أي فتاة.

كيف ستكون الحياة إذا كنت طبيعية؟ أحلم بها طوال الليل، وأنا أؤمن بها في مخيلتي، كيف سيكون شعورك إذا تبادلت مع شخص الاحترام؟ أو جعل شخصٍ ما يثق بك؟ شخص يعرف مكانتك ويحترام رغباتك، شخص تحدثه ليحادثك بنبرة حنونة، وبلهفة واشتياق.

شخص لا يلومك لأنك على قيد الحياة.

مذكراتي هي جزء لا يتجزأ من السلامة، ورأسي مكان يخطر التواجد فيه وهو حتمًا ليس مكانًا مناسبًا لذلك الشاب، غير أنني لا أظن أني سأتحمّل الفكرة؛ مجرد فكرة الارتباط، فقد كبرت وأنا على يقين أن جميع الرجال سواء. أستطيع تدبر أمري وأنا راشدة ولكن...

كطفلة، ما كان خطأي؟

ما زلت أعتقد أنني بحاجة إلى التزام الهدوء، أن كل شيء كان ملعوبًا في رأسي، أن شخص ما سيفتح الباب لحريتي الآن... شخص ما سيسمح لي بالخروج من هنا، ما زلت أفكر في إمكانية حدوث ذلك؛ لأن أشياءً كهذه لا تحدث قط، هذا لا يحدث؛ الناس لا ينسون غيرهم هكذا! لا يتم التخلي عنهم مثلي.

كيف أتذكر تلك التفاصيل بعد هذا الدهر الطويل؟ لعلي لم أنسَ قط لأني لم أتوقف عن التفكير! كان وجهي ملطخًا بالدماء عندما رآني على الأرض... ما زالت يدي تهتز حتى وأنا أكتب هذا، هذا القلم هو منفذي الوحيد؛ فقد حرمت من أن أتعرف على الناس؛ أنا خطر عليهم_كما تقول أمي _، هذا القلم هو صوتي الوحيد؛ لأنني لا أملك أي شخص آخر للتحدث إليه فأرسم به بركانًا من غضبي ولا مانع لدي أن أغرق فيه.. لا أستطيع السباحة، من الصعب جدًا أن لا أغرق في غضبي، الحصول على الراحة صعب جدًا! كما أنّ مليون صرخة تم حبسها داخل صدري، لكن علي الاحتفاظ بها جميعًا لأنه لا يوجد أي سبب لأصرخ إذا لم يسمعني أحد.

وقفت في صدمة ونظرت للأسفل... إلى تلك الصورة محاولةً أن أحبس أنفاسي حتى لا تفلت مني أصوات الصراخ التي أكتمها في صدري، عندما ضاقت بي الدنيا من قبل؛ عندما شعرت أني وحيدة، وعندما كسرت مرارًا وتكرارًا وعدت نفسي ألّا أبكي، وعدت نفسي أن أتمالك أعصابي، أن أتقبل الصدمات بصمت، ولكن هذا؟! هذا كثير... بت أتمنى الموت لليالٍ كثيرة، ومن النفاق كنت أنظر للسماء وأدعو الله أن يمتلكني ملك الموت؛ أن أرتدي تلك الثياب البيضاء، وأن أتآكل حتى لا يتبقى مني سوى حجر قبري محفور عليه اسمي، ولكني لا أريد ذلك حتى، لا أريد أن يتذكرني أحد أو أن يخلد اسمي في ذاكرة من سمع عني، وحتمًا لا أريد انأن يصدق أحدًا أنّ فتاةً في الثالثة عشر من عمرها تتمنى أن يكون كل نفس تتنفسه هو الأخير، بينما تحلم الفتيات من عمري أن تمتلك هرةً تلاعبها، أو فستانًا جديدًا تتباهى به؛ كنت أنا أغمض عيني وأتخيل ظلام القبر وسكينته.

أنا لا أستطيع أن أبعد نظري عن تلك الفتاة التي في الصورة، هي حتما ليست أنا؛ هي تشبهني قليلًا، تمتلك ملامحي ولكن عيناها تلمعان ببريق البراءة ووجهها أبيض بياض الثلج تغطيه خدود حمر ممتلئة والاختلاف الأوضح: أنها تبتسم! كنت أنا وهي نفس الشخص منذ سنين طويلة، ولكني الآن لست سوى صدفة تركتها هي عندما توقفت عيناها عن اللمعان واختفت بسمتها دون عودة، صرت صدفه بدون روح، إن لم تنجح الحياة في كسري من قبل فقد تفوقت على نفسها اليوم؛ لم يتبقَّ مني سوى فُتات، و مات كل ما بداخلي اليوم فصرت صدفة خالية؛ جسد دون خاطر، وقلب لا ينبض.؛ فلماذا يقع علي اللوم إذا تحجر قلبي؟!

لن أبكي، ولن أُري أحدًا ضعفي، لن أبكي.

لم تحملني قدماي وأنا أرتجف من هيستيريا الموقف فأحاول الاتكاء على ركبتاي ببطء، فرحت أفكر في نور، إذا كانت نور هنا معي لكانت ساعدتني، كانت ضمتني وأخبرتني أن كل شيء سيتحسن... جمعتني بنور صداقة ثمانية أعوام ولكني ابتعدت عنها، ابتعدت لأني أعلم أن صداقتي مضرة، وهذا ما يخبرني به الجميع؛ إنه يجب علي الابتعاد عن من أحب، احاول الاستناد بحديد السرير ولكن ضعفت يداي على مساندتي كما قدماي، ظللت أحلق بالصورة أمامي حتى بدأت غيوم من الدموع تحجب نظري، أغلقت عيناي بكامل قوتي حتى أطرد تلك الذكرى من عقلي وأنكر وجودها؛ لأنها ليست حقيقية!! لا يمكن أن تكون حقيقية!!

ليتني لم أحاول التذكر، ليتني لم أفتح تلك العلب التي خبأتها أمي بعيدًا؛ ليتني قتلت فضولي... حدث هذا كله لأنني أردت أن أعلم لماذا لا أملك صورًا لطفولتي، ولكن ما لم أعلمه هو أنني لم أمتلك أي طفولة من الأساس؛ كانت سنيني الأولى عبارة عن مزيج من الوحدة والشجار... ليتني لم أرَ تلك الصور، ولم أتساءل لماذا لا تريدني أمي ان أتحدث عن طفولتي!! لا أشعر بيدي بعد أن دفعتها إلى وجهة السرير بكل ما في من غضب، بكل ما في من قهر وكل ما في من قوة... كيف لشخص أن يكون بهذه الوقاحة والجبروت! لن أبكي! ولكني حتما سأبكي، ولا أستطيع السيطرة على تنفسي مع أصوات القهر التي تخرج من حنجرتي المصابة، أشعر بالدموع التي منعتها من الخروج وهي تتكاوم و تمر في حنجرتي كالحامض المذيب الذي يشعرني بتآكل في رئتاي، و بدأ نفسي يتسارع مع

شعوري بآلام في مفاصل يدي، نظرت إليها لأرى دماءً كثيرة، دماء تغطي الجروح الصادرة من تصادم يدي مع الحديد عدة مرات، كفى يؤلمني، لكني لا أشعر بأصابعي.

ولكن ما الفرق الذي سيشكله الألم الجسدي إذا كان الألم النفسي يجعلك تتمنى الموت؟ تتمنى أن تنام وأن لا تستيقظ؟ أن تشعر بتلك السكينة وحدك في قبرك بعيدًا عن البشر؟

كان عليّ أن أشعر بالغضب، والشر، ولهيب الانتقام.. كان علي أن أشعر بالحقد وأن أتعلم بالوقوف وراء الغضب والشهوة للدماء والحاجة إلى التبرير، لكن بدلًا من ذلك، أشعر بأنني هاوية بداخلي، وأن حور الطفلة تركت في قلبي فجوة عميقة للغاية، مظلمة للغاية، ولا أرى شيئًا بداخلها، لا أستطيع رؤية ما تحمله، أنا لا أعرف من أنا الآن، أو من قد أكون، أو إلى ماذا سأتحول ..

أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة للغاية، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة جدًا، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة جدًا، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة جدًا، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة جدًا، أنا آسفة جدًا، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة جداً، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة جدا، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة جدًا، أنا آسفة.

الخذلان

منكسروش بخاطري.

"لماذا لا تقتلين نفسك؟"

سألني شخص ما في المدرسة،

لم يكن سؤالًا المغزى منه الإجابة، أعتقد أنه كان هذا النوع من الأسئلة المقصود منها أن تكسر القلب ولكن أنا حقا أتساءل كثيرًا، أفكر في الأمر طوال الوقت، كيف سيكون الأمر إذا قتلت نفسي؟ لأنني لا أعرف حقًا، ما زلت غير قادرة على معرفة الفرق بين الحياة والموت وهل ما أنا أعيشه هي حياة؟ أم موت بأعين مفتوحة؟ لا أعلم لا أعلم لا أعلم! لكني على يقين أن الموت به ميزة لا يجدها الأحياء، وهي السكينة والسلام، لكن كانت هذه هي المرة الأولى التي فكرت فيها في وجود هذا الاحتمال، لم أكن أعرف ماذا أقول، ربما كنت مجنونةً في التفكير في ذلك، لكنني كنت أتمنى دائمًا لو أنني كنت فتاة جيدة بما فيه الكفاية، إذا فعلت كل شيء بشكل صحيح، إذا قلت الكلمات الصحيحة أو قول لا شيء على الإطلاق، اعتقدت أن والدي سيغيران رأيهم، اعتقدت أنهم سيستمعون أخيرًا عندما حاولت التحدث معهم إنهم سيتقبلونني؛ لمنحي الأمل، بت أفكر أنه ما من خطب بي وأنني على ما يرام،

اعتقدت أنهم سوف يحبونني،

كان لدي دائمًا هذا الأمل الغبي،

مات الأمل اليوم، لذلك أموت معه.

ما العيب بالقبور؟ ما العيب بتمني الموت؟... تمني البعد... بعيدًا عن الظلم والقهر والاستغلال؛ بعيدًا عن من يؤذي الناس دون التفكير في ما

سيصيبهم من بعد أفعاله، وقفت وصرخت رغم ما في من ضعف؛ صرخت بأني أكرهه! وأني لن أسامحه مهما عوض لي!

في غضبي نظرت حولي لأجد مخرجًا ، ولكني لم أجد سوى باب الغرفة؛ الباب الذي يؤدي إلى عائلة متفككة متجاهلة، عائلة كل من بها يتحدث مع الحائط لان الآخرين طناش، أم أني وحدي كذلك؟ أنا وحدي المضطهدة التي لا أنتمي لهذا المنزل!! لم أجد مخرجًا، لم أجد سوى نفسي وهي تنظر لي من خلف المرآة، نفس

مدمرة مكسورة؛ كسرها الزمن مع أفعال البشر الغبية.

أكرهه!! وكسري للمرآة بيدي المصابة يكسر ما تبقى من قلبي... صرت لا أشعر بيدي مطلقًا، لا كفي ولا أصابعي، فأقع مرة أخرى على ركبتاي وأبكي... أبكي لأنني لم أولد سيئةً، لم أولد دون قلب وإنما سلبه مني جاحد القلب.

ما المغزى من العيش إذا كانت دنياك أقصى من جهنم؟

أمسكت بقص من الزجاج الذي أمامي ووضعته على معصمي فشعرت بلسعة الزجاج وهو يقسم جلدي إلى شرائح، والدماء التي تجري كالنهر لتطفوا على الأرض وتترك علامتها على ملابسي، ولكن الغضب الذي بداخلي لا ينتهي بجرح واحد؛ فأستمر بالقطع مرةً، والأخرى، والأخرى حتى ما بقي من جلدي لعيني سوي الدماء.

غمي علي قبل أن أقطع شريان رئيسي، ففتحت عيناي على أمل النهوض في الآخرة وليس أن أجد نفسي على أرض غرفتي في بحور من دمائي وأشعر

بالبرد القارص من إغفائي على السيراميك، لا أعلم لما استيقظت، مع خسارة هذه الكمية من الدماء فإنها إشارة واضحة من ربي أنه ـعز وجلـ لن يسهل دنياي.

حاولت الوقوف كثيرًا ولكني لم أستطع؛ قدماي تشعراني بأنها عودان ضعيفان بعظام هشة... تشعراني بأنهما أيضًا خذلاني، ولكني لم أعد أُخذل بسهولة لأني أيقنت أنه لا أحد سينصفك... وأنك أنت ملك نفسك فلن يفيدك أحد؛ لا صديق ولا غريب. ففقدت الأمل وتوقفت عن المحاولة بالوقوف، وضممت ركبتاي وأنا أرتعش وجسدي يهتز من شدة البرد، أملت رأسي لأريحها على ركبتاي وصرت أتذكر كل شيء... وأفكر بكل شيء، ولكن بعد مضي كثير من الوقت لا أعلم إذا كان بالساعات أم بالدقائق، لم أفكر بشيء، هذا ما دربت نفسي عليه في سنيني الماضية، أن أعتاد تجاهل كل شيء، ولم أفكر في شيء و أنا أمسك بقنينتين من الدواء في يدي، ولم أفكر في شيء وأنا أعلم أنها تمامًا ما يكفي لنوم طويل، ولم أفكر في شيء وأنا أنظر إلى نفسي في مرآة الحمام، وأميل إلى الحائط، وانا أسقط على زجاج متكسر، ولم أفكر وانا أمسك بزجاجة ماء، أتساءل عما إذا كانت ستغضب أمي عند فقدان ابنتها أو أنها ستتهتم لما يقوله الناس، كالعادة..

وياه من تلك المرة الأخرى... أكانت تلك المحاولة الأسبوع الماضي؟ أم منذ سنين؟ أفقدت إدراك الزمن مجددًا؟ تلك المرة التي اكتشفت أنه يوجد شيء بداخلي، شيء لم أتجرأ أبدًا على الاستفادة منه؛ أخشى أن أعترف به وهو الجرأة لمواجهة الموت.. وليس ذلك فقط بل أيضًا الذهاب إليه

بكامل قواي العقلية، هناك جزء مني يعافر من أجل التحرر من الحلقة النارية التي تحاصره و يضرب على أبواب قلبي يتوسل أن يكون حرًا، كل يوم أشعر أنني أعيش نفس الكابوس وأفتح فمي لأصرخ بينما الألم يصيب أعصابي ولا تعد في قوة للقتال، وذهب صوتي وأنا أصرخ صرخة الحرية عندما أبتلع تلك الحبوب وأنتظر أن يأتيني الخلاص.

لم يطول الأمر حتى بدأت أشعر بالشلل في ظهري بعد أن سكنت قدماي تمامًا عن التحرك، ومهما حاولت تحريكها كان بدون فائدة كما لو أنها عالقة في مادة الأسمنت المتحجرة، نعست يداي عن الحراك أيضًا، وثقل جفني فور شعوري بطعنة ألم في معدتي وأنا أصرخ، لكن لا أحد يستطيع أن يسمعني، لا أحد يستطيع أن يصل إلي ويخلصني من السم الذي يجري في عروقي الآن،

وهو يقتلني.

رؤيتي مظللة وحواسي مخدرة، ولكني ما زلت أسمع ضجيجًا خافتًا على الباب، ويبدو لي أنها ثلاثة أزواج من الأيدي والعديد من الصيحات، أجرؤ على الابتسام الآن، أكان علي دائمًا أن أجعل نفسي خاضعةً؟ أكان علي أن امثل دور مراهقة ملتوية باردة الإحساس وسلبية التفكير فقط لجعل الجميع يشعرون بالأمان والراحة؟! لقد أصبح صمودي كفاحًا لإثبات أني إنسانة وأني من البشر... ولكن كفاحي لم يبت ذو أهمية لأنه لم يلحظ قط وأنا على يقين أنني لست خطرًا على من حولي، وأنني قادرة على العيش بين

البشر الآخرين دون الإضرار بهم؛ فلماذا يعاملونني كشيطان؟ أو بالأصح كملاك طُرد من الجنة؟!

أردت العيش بسلام، كانت لدي أحلامًا كبيرة وكثيرة... كنت كأي فتاة أتمنى أن أكون ناجحة في ما أعمل، وحلمت كم ستكون حياتي مختلفة فور خروجي من هذا المنزل وأنا في طريقي لأنال حب حياتي، ولكن أنا متعبه للغاية... متعبه للغاية... وهذا أحيانًا يشعرني بالغضب الشديد؛ لأني لن أنل أبدًا ما أحب.

أسمع دبدبة ونواح أختي وهي على ركبتيها أمامي تحاول فتح عيناي وصفعي لأفيق، ولكن كل ما أتاني من قوه هو أن أفتح جفناي وألمح أمي جالسة على الأريكة، ولا تكلف نفسها عناء تحريكها، لكنني لا أعرف ما الذي حدث بعد ذلك كنت مشغولة بالموت، ما تبقى من الليل هو طماس، لم أكن أعلم أنني سأجتازه على أية حال، ولا أتذكر أي تفاصيل، بعض الأشياء فقط.

كحبيبة وهي تتوسل لأمي لاستدعاء الطوارئ

أمي تنبح حول ما سيقوله الناس عنّا!

حبيبة تشربني الملح والماء أسفل حلقي،

أمي تنبح عن أدويتها التي أضعتها هباءً!

أنا في انتظار آخر نفس لي.

أنا اتنفس مرة أخرى!

بدأت المدرسة بعدها بأسبوعين، لا أستطيع القول أنني كنت فتاة مطيعة بعد ذلك، بعد ما تذكرت، بعد ما علمت، صرت أجلس في المقعد الخلفي حتى استغرب كل من يعرفني لاني لم أبرح المقعد الأمامي إطلاقًا، صرت أستأذن من المدرسين بالذهاب إلى المرحاض عندما كنت أشعر بضيق النفس، فأغلق الباب علي وأبكي، صرت أرسم وأرسم وأرسم حتى شعرت بالدماء في يداي تخرج من مسكتي الحادة للقلم؛ أجمع الناس أني تغيرت ولم أكترث أن أبرر لهم.

- حور
- نعم يا ندى
- أنا مش مطمنالك
- ليه كده؟
- مش طبيعي اللي انتِ فيه ده!

لم أستغرب من كلمات ندى، ولكني توقعتها حتمًا، كنا جالسين في غرفتها أنا وحبيبة نشاهد فيلمًا بينما نتصنت على والدينا في الخارج وهما يتحدثان عنا، وجدت متعة في الاستماع لأمي وهي تتحدث عني؛ سواءً بالخير أم بالشر، ولا أعلم لماذا، ولكن هذا جعلني أشعر أنني موجودة!

بعد التفكير لفتره جاوبت ندي

- إيه اللي مش طبيعي؟

- بقيتي تلبسي بكم فالبيت، بتحطي كحل كتير أوي، وبتاكلي زي التمساح... أنا عمري ما شفتك بتاكلي كتير أوي كده! حرام عليكي هتتخني! وأنا وحبيبة اللي كنا بنقول هنخس ونبقا زيك... وبعدين هو انتِ كل أسبوع شعرك هيبقى لون مختلف عن اللي قبليه؟ مش خايفه يقع؟؟

- هههههههههههه لا ماتخفيش يختي مش هيقع.

ثم خفضت صوتي لأقول :

- –ولو وقع مش فارقه كتير.

- بتبرطمي تقولي إيه يا بت؟

- لا يختي مبقولش حاجة، اسكتي بقا واتفرجي عالفيلم مش عارفة أتخض عشان مش مركزة.

- لا ده انتِ بقالك فترة مش مركزة؛ مش في الفيلم بس، دا حبيبة طلعت برا من أول مشهد وانتِ ما شاء الله عينك مركزة مع واحد بيشرح بطنه وماتهزليك جفن، اضربي يختي اضربي ربنا يفتح نِفسك.

فضحكت ضحكة خافتة وأنا أتابع المشهد، وبعد دقيقة نادت ندى اسمي مجددًا

- نعم

- بت اوعي تكوني بتحبي!! أنا مش مصدقة أنا لسه واخده بالي حالًا! بتحبي صح؟؟؟ أيوا بتحبي؟؟

أردت أن أسألها كيف أحب أحدًا وأنا لست متأكدةً من حبي لنفسي، ولكن الحقيقة أنني كنت فعلًا أحب! أعتقد أن دقة قلبي الوحيدة لذلك الشخص هي الدقة التي استمرت رغم كل شيء؛ رغم كرهي لنفسي؛ رغم كوابيسي المتكررة... ورغم كرهي للجنس الآخر.

تذكرت هذه المحادثة وأنا أقف أمام المرآة بعد تغيير لون شعري مجددًا... أنا لست معتادة على الشعر البنفسجي في شعري؛ فلويت خصلةً منه حول أصابعي محدقةً بهذا اللون الغريب، يبدو غريبًا ولكنه يمنحني الكثير من السعادة والفخر؛ فأنا فخورة بشجاعتي على صبغه بتلك الألوان الغريبة.

إن موت شعرك ليس بالأمر السهل خاصةً إذا كنت فتاة، ولكن لم أترك كل الهم الذي ينتظرني حتى أهتم إذا كانت الصبغة ستقتل شعري! فقد كانت السنوات الثلاث الماضية فوضى بالنسبة لي، وهونت علي كل الألوان الجديدة التي جربتها، وقصات الشعر وجميع التغييرات التي قمت بها بإسعادي قليلًا..

كنت أطمح لشيءٍ جديدٍ كل شهر أو شهرين، أو حين أشعر بالملل والاكتئاب، كنت أغير من مظهري لأنظر في المرآة وأجد شخصًا جديدًا كل مرة... ولكن هذا الشخص يتلاشى كلما نظرت لعيناي، فهي ما زالت لا تلمع؛ فتخذلني تلك المظاهر الجديدة وأعود لكوني "حور" مرة أخرى.

أتذكر حتى أني حلقت شعري مرة، وكان ذلك قبل أربع سنوات تقريبًا عندما وعدت نفسي بعدم العودة إلى البحث عن فارس مجددًا، كنت أسهر الليل كله على مواقع التواصل الاجتماعي أبحث عن اسمه مرارًا

وتكرارًا... أتذكر الوقوف أمام المرآة أثناء مشاهدة الشعر يتساقط من الشفرات، تركت الشفرة خصل قصيرة لا تتعدى الإنشين من شعري و كان شعورًا مريحًا للغاية، حدقت في المرآة وهمست لنفسي أني قمت بهذا لمصلحتي... أن لا أحد سيحب فتاة صلعاء وأني من الآن فصاعدًا سأكون نفسًا جديدة مثل كل مرة أغير فيها من شكلي... ولكن قمت بنفس الخطأ مرة أخرى؛ نظرت لعيناي...

لقد كان الأمر مهدئًا جدًا لي، لقد جعلني أبدو أصغر سنًا وأخطر وأكثر ثقة وأكثر استقلالية، إزالة تلك الحزمة الضخمة من الشعر أمر مريح، كان طويلًا، كان كأمواج الماء المتحركة مع الرياح.. كالشعر الذهبي المجعد ولكنه كان يميل للغجري.. تقول أختي أنه يشبه أشعة الشمس المتلألئة؛ البني الفاتح والبرتقالي الداكن في تدابير متساوية مع أطراف رمادية.

ولكن عانى هذا الشعر بقدر ما عانيت.

لقد شهد هذا الشعر كثيرًا، وتم صدّي بشكل مفاجئ، وأمسك بذكريات لا أريدها حتمًا، وكان علي أن أتخلص منه، والآن، أنا أمام المرآة؛ شعري لا يتعدى طول عنقي..

شعرت بالدفء فاغتسلت من الشعر الذي التصق بملابسي وكنسته عن الأرضية وخلدت للنوم..

بكت أمي عندما رأته، بكت حبيبة أيضًا وانفعلت ندى في أفعالها بالشتائم والشجار معي، حتى أن بعض أصدقائي بكوا لفكرة أنني لم أكن راضيةً عنه، وأنني كرهته، وأنني فعلت ذلك لأسباب سيئة.

أحببت شعري ولكنه جعلني أكره نفسي.

بعد هذا اليوم عدت للمنزل وبالي مشغول، ماذا بي؟ ما الذي أصابني؟ ما هذا الوهم الذي أعيشه؟ أم أن الجميع يعيش في الوهم غيري؟ لا أعلم شيئًا، فقط أصفي ذهني وأنام.

حملت حقيبتي وتخلصت من حذائي، فور دخول المنزل لم تلاحظ أمي دخولي بينما تلقي السلام على حبيبة؛ فأمتنع من المرور أمامها وأدخل غرفتي قبل أن تلاحظني، بدلت ملابسي ووقفت أمام المرآة أرسم أفضل ابتسامة مزيفة على وجهي، وأنا أتجه لغرفتي استمع لحديث أمي من الطرقة وهي تتحدث في الهاتف بصوت خافت، وحين رأتني آثرت أن تغلق الباب في وجهي حتى لا أستمع لما تقول، وهذه إحدى أفعال التلوث.

لكن لا يقتصر التلوث على تلك الأفعال إلا إذا تلازمت شرطًا، وذاك الشرط أن تلقى الأسوأ من أقرب الناس إليك؛ من أكثر الناس التي تنظر لها بلهفة وبتفاؤل... من أكثر الناس أمانًا لقبلك، فهل ستشعر بأمان مجددًا بعد ذاك الخذلان!! خذلان الحبيب والقريب يجعل من قلبك عدوًا لك، يجعلك تارة تريد أن تداويه وتصلحه وتارةً أخرى تقتلعه من جوفه.

– في حاجات انتِ متعرفيهاش...

قالت حبيبة عند سؤالي المتكرر بما بال أمي وما الذي يشغلها في تلك الفتره الماضيه.

– زي إيه يعني؟ أكيد مفيش حاجه بتحصل هنا أنا مش عارفاها.

– لا انتِ متعرفيش حاجه خاااالص، ده انتِ المدلعه الي فينا ومحدش منهم بيشكيلك همه،

عجزت عن الرد؛ لأني حقًا لا أملك ما أقوله... إن كانت تأخذني كتلك الأخت المرفهة فشكي أنها أيضًا لا تعلم الكثير عن هذا البيت.

بعد فترة، يأست أن أحاول معرفة ما صار وما الذي تبغضه أمي كثيرا لدرجة نومها عشرين ساعةً يوميًا، وقلة اهتمامها بعدة الأرواح التي أنجبتها... لم أكن أشتكي ولكن أبي لم يتوقف عن التذمر، ارتأيت صفة "النرجسية" في كليهما.

وضحت الأمور بعد عدة أيام.. حادثت أمي في طريق العودة للمنزل فتفاجأت بهدوء نبرتها وقلة توترها... صدّقت أن دعواتي لها بالهدى أجيبت وأن الحياة ستكون أسهل مما طننت، لم تنتزع بسمة الأمل طوال طريق العودة لأجد امي لم تترك فراشها بعد؛ تستدعيني أنا وحبيبة.. ظهرت عليها علامات السهر وتجاعيد الزمن فاستغنيت عن الفكرة التي راودتني عن راحة البال صباحًا.

– انتم كبار وفاهمين.. أنا محدش هيحبكوا قدي، ومحدش هيخاف عليكم زيي، عشان كده أنا هتخطى النزعات وأقولكم قراري.

كنت كذالك الطائر البائس الذي لا يعلم أين قطيعه.. لا أفهم كلمة مما تقول حتى أنهت كلامها فثبت عقلي في دقيقة استيعاب مما جرى.

صديقة أمي، والتي تقربني في العمر كذلك كانت تحدثها كثيرًا في الآونة الاخيرة، لا تحدثها كصديقة؛ بل كدرة مستقبلية.

- لم يقدر أباكم على البوح بسره فباحت به هي.
- أتصدقين خرّابة البيوت؟؟ أم أنكِ تبررين رحيلك!

صرخت بها حبيبة عندما استنفذت صبرها، كانت أمي تتحدث بهدوء طالبةً منا أن نتفهم طلاقها ورحيلها عن هذا المنزل، لم اشعر بالغضب كما فعلت حبيبة بل شعرت بالحزن؛ لكن لا أدري على ماذا.. هل لأن أبي قد كون علاقة أخرى؟ أم لقهر أمي التي تحملته بما أصابه قبل إنجازاته..

- بابا رغبته كانت كده وأنا خلاص مش هقف ف طريق سعادته؛ انتوا كبار وفاهمين... أنا اتحملت سنين؛ أبقى بدوس على كرامتي لو بعد السنين دي أقعد معاه بعد جوازه تاني.

شعرت برغبه عارمة في لبكاء، ولكني حافظت على تحجري واعتلت حبيبة مسرح البكاء مكاني.. وإذا بها تصرخ وتبكي لأمي فتركتهما في الغرفة وخرجت لأجد حامد وسارة و نور في الصالة؛ يلعبون ويضحكون فجلست بينهم لأتأمل فرحتهم؛ لا يدرون أن أمهم حالًا قد نوت التخلي عنهم وأن أباهم لم يعد يكفيه وجودهم.

عاد أبي من العمل منتظرًا الغداء، وعندما تأخر الغداء، راح يصيح بكل من حوله... رمقته منه بنظرة حزن وأنا بمقت؛ طلبت أختي من لطفًا بالانضمام إليهم في الغرفة بعيدًا عن الأطفال، تعجب من طلبها ولكنه نفذ ما طلبت وعندما نظرت لي أملت رأسي للأطفال؛ أي أنني سأظل معهم، فاستدارت ودخلت الغرفة وراء أبي... سمعت ضجيجًا، عواءً وتكسيرًا لكن لم ألتفت

بعيني بعيدًا عن السماء؛ شعرت بالحزن أن الشمس تعتلى السماء لتخفي نجومي؛ فإن كانوا هنا لعدهم لكان ضجيج عقلي خفت صوته.

خرجوا من الغرفة كل واحد منهم في اتجاه، وعلمت أن نهاية الحديث أن أبي بريء من هذه التهمة... وتمر أشهر لا يتحدث أحدهما مع الآخر حتى بعد الصلح؛ فلا تزال أمي تتجسس على هاتفه ليلًا للتأكد من شكها، وكان كل ما يحوذوه من غضب يتحول على إحدانا؛ إما أنا أو أختي.

***

انتظرت أول يوم في حياتي الجامعية بفارغ الصبر، لم يبدأ رسميًا بعد؛ بل بعد بضع سويعات، يطلقون على هذا الاسبوع "أسبوع التوجيه": أيام قليلة اختيارية تتيح للطلاب الوصول إلى الحرم الجامعي في وقت مبكر للاستقرار والتعرف على بعضهم البعض والعثور على طريقهم في جميع أنحاء الجامعة..

تقول أمي إن أسبوع التوجيه فكرة رائعة، لكنني أعلم أن أمي سهلة عمومًا في التأثير إذا كان الموضوع يتضمن إبعادي عنها لفترة وجيزة..

لن أكذب: أنا خائفة، إلى جانب التوتر في اليوم الأول، ما يزعجني حقًا هو فكرة ترك أصدقائي ورائي، لم أتوقع أبدًا أن أدرس بعيدًا عن مدرستي _أقصد، كان لدي بعض الأمل أن أقصد كلية طب في القوات المسلحة_ لكنه كان احتمالًا ضئيلًا تقريبًا أن يتم قبولي.

وما يضايقني أكثر من ذلك؛ حقيقة أن الهندسة لم تكن سوى أبعد طموحاتي ولكن ها أنا الآن في ذات الدارسة الغبية حاصلة على المنحة

الدراسية في النهاية، الغريب في الأمر أنّ القوات المسلحة تنتبه على الليونة الجسديه بقدر الفكرية؛ أعني أحقًا يحتاجون العقل قبل العضلات؟ كيف يمكنهم حتى التفكير في هؤلاء البلهاء على عقل يزن عضلاتهم؟ لا أكره الخير لغيري ولكن لماذا يحتاج لاعبو رياضة للدراسة في الجامعة؟ لا يحصلون على وظائف حقيقية عندما يكبرون، على أي حال، لكننا نحن طلاب حقيقيون، نعمل بجد ودراسة فقط للحصول على فرصة للقتال... ثم ينتهي بنا المطاف في سوق الجمعة ونبيع ممتلكاتهم القديمة غير المرغوب فيها، أين المنطق في ذلك؟

أشعر بالإحباط الشديد والعصبية في نفس الوقت، قلبي ينبض، يجب أن أخرج من رأسي كما حذرت نفسي، لأن أفكاري تغوص بشكل أعمق في الفزع... يجب أن أركز على الواقع.

بالحديث عن الواقع

شعرت براحة بعد مكالمتي الهاتفية مع فارس اليوم..... اتصل بي ليهدأني صباحًا... فارس لا يستيقظ مبكرًا في العادة لذلك استغربت حديثه معي خاصةً أننا لم نتحدث لفترة طويله بسبب كشف علاقتنا. كانت علاقتنا تتطور بسرعة جدًا ولكني لم أتوقع ذلك، لم أكن أتوقع أنه بعد أن فقدت أملي بالبحث عنه سوف أجده ونتحدث كأننا لم نفترق قط! كأنني لم أترك تلك الحارة التي لعبنا فيها ونحن صغار؛ تلك الحاره التي نظرنا بها لبعض نظره الاشتياق في كل زيارة أتيتها إلى هنا، في فترة تواجدنا في دبي لم نقطع صلة الرحم تمامًا بل تحددت زياراتنا إلى شهر أو شهرين كل سنة، أمضينا

نصفها مع جدي حتى عام وفاته، وجدتي لم تكن ترحب بنا فوجدت راحتي في الحارات... بعيدًا عن الأعين التي تعرفني، كنت أطوفها من شارع لآخر لأنسى أفعال جدتي المعتادة التي تسببت في كرهي لوقت الإجازات والزيارات.

بالطبع كانت ترحب بالعقد الذهب الذي كان يأتيها أبي به سنويًا. ولكنها لم ترحب بنا قط، ليس بي ولا بإخوتي ولا بأمي؛ فقط بأبي؛ طالما امتلأ جيبه بما تحب، أشفق عليها أحيانًا، عندما كنت تلك الطفلة التي تحبها لكونها جدتي كانت تخيف كل من يخطئ من الأطفال، تملكت قلب الحجر حتى أن أبنائها ورثوا عنها التفكير والقلب المتحجر، وأنا حقًا ألومها على تحجر قلب عماتي علينا وتحجر قلب أمي؛ لأنها كانت تقسوا علينا اعتقادًا بأننا أخذنا ابنها منها، ولكن في الحقيقة هي تعتقد أننا لا نستحق العيش في المستوى الذي لم تعش هي فيه، كانت تملك جبروت الحموات الذي يؤذي.

ولكني أرتاح عندما أكون هناك في تلك القرية، لأنني أعلم أن هناك فرصةً لأرى هذا الوجه الذي أرسمه في خيالي لسنوات، كل عام قبل زيارتي لم يكن يشغل تفكيري سوى فارس.

التظاهر

أنا كويسة.

أنتِ كذابة.

– يا ترى شكله عامل إيه دلوقتي

من عدة سنوات؛ همست لنفسي مرة وأنا جالسة في الغرفة مع ابنة عمي؛ لم أكن اقصد أن أقولها بصوت مسموع، ولكني أردت إجابةً فعلًا، أردت أن أراه؛ فوجدت ابنة عمي تنظر لي نظرةً أعتبرها من الشفقة إذا لم تكن نظرة فضول.

– انتِ لسه بتفكري فيه؟ نهارك أسود يا بنت عمي! اكبري بقاااا الموضوع ده لما كنا بيبيهات إنما دلوقتي خلاص بح! احنا داخلين على ثانوية عامة متضيعيش روحك!

– قوليلي بس والنبي هو فين وجدوله عامل ازاي؟ بيعدي من هنا كتير ولا لا؟ عشان خاطري يا نور مش هطلب منك حاجة تانية.

– والله مش عارفة أجبهالك ازاي، بصي فارس بطل تعليم يا حور، مش هيفيدك... أبوكِ مستحيل يوافق يا بنتي انتِ لسه صغيرة أصلا!

– ازاي يعني بطل تعليم؟

– والله يا بنتي زي مبقولك كده! ورث طبعا هو وأبوه وشاف مفيش فايده فالتعليم...فسابه راح اشتغل أبوه يصرف عليه بقا.

– نور أنا عارفاكِ... انتِ بتسرحي بيا كل مرة قوليلي بقا الحقيقه!

– انتي هبلة يا بنتي وأنا هسرح بيكِ ليه؟ طب أقلك حاجة كمان، الكلام بيطلع عليه كتير إنه بيحشش و بياخد مخدرات، فوقي يبنتي معتش فارس الصغير اللي كان بيستناكِ عَ الباب لما تيجي عشان يشوفك.

انهرت في تلك اللحظة وغرست رأسي في الوسادة حتى أصرخ بأعلى صوت، لم تحاول نور أن تهدئني؛ بل انتظرت حتى هدأت وأكملت حديثها وكأن شيئًا لم يحدث.

- بصي، الصراحة أنا عايزة أقولك عن حاجة كمان بس خايفة الموضوع يتعبك، بس هقول أهو وأمري لله، بصي هو فارس عمره ما حبك، هو ماشي مع بنت في البلد هنا وبيحبها أوي والناس متوقعة إنه هيخطبها.

في تلك الليلة أدركت أنني خسرت فارس كليًا، لم أنم وظللت أفكر فيمَ أخطأت؟ أم أن هذا عادي؟

أنني يمكنني أن أحب أحدًا سبع سنوات، ولكننا لم نتحدث قط في فترة غيابي، حتى حديثنا في وجودي كان عبارة عن نظرات عابرة، كانت عيناي تتواصل مع عينيه من مسافةٍ وكلانا يفهم الآخر؛ فلماذا تلاشى كل هذا في تلك الليلة؟ ولكني تصرفت كالطفلة، بعد بكائي الطويل قررت أنني سأكمل حياتي وكان شيئًا لم يحدث.. نمت وأنا أهمس لنفسي أن فارس لم يسلك الطريق الخاطئ قط، وأنه شخص نظيف وأن الناس جميعها تتحدث عنه بكل إيجابية والجميع يحبه، وأنه يحبني كما أحبه، وانتظرني كما انتظرته.

وفي تلك الليالي التي نظرت فيها إلى القمر أتخيل كيف سيتغير شكله من عام للآخر، أنا متأكدة من أنه أيضًا كان يتخيل ما هي الحالة التي أنا عليها، وأنه اشتاق لي كما اشتقت له، إنكاري لحديث نور كان شيئًا غبيًا.

ولكني بعد عامين من حديثها، استعدت فارس بعزيمتي أنه يحبني. بصبري، بقوة تعلقي به.

كانت الرابعة فجرًا، وعجز فارس عن النوم، حينها لم نكن قد اجتزنا الأربع أشهر في علاقتنا.. بعث لي رسالة يخبرني بأنه لا يستطيع النوم وأنه يريد أن يبوح لي بشيء ما؛ فأخبرته أن يتصل.

- حور
- امممم
- مش عارف أنام، عايز أحكيلك عن حاجه وعارف إنها ممكن تزعلك بس إنك تعرفيها دلوقتي أحسن من إني أخبي.
- لا متخفش مش هزعل، لو إنك تقول هيريحك؛ أنا مش هتدايق
- أنا وصلت لمرحله وحشة أوي يا حور، أنا بجد تعبان.. تعبي وصلني مكان وحش أوي، حور أنا مش عارف أجبهالك ازاي...
- قول اللي فبالك على طول يا فارس متخفش أنا معاك على طول
- أنا كنت بشرب يا حور، أنا عارفك هبله فمش بشرب سجاير لا... حجات تانية، بس أنا بطلت والله، خايف إن الموضوع يأثر علينا بعدين وإن أبوكِ ميوافقش عليا.
- أنا عارفة
- عارفة إيه؟ عارفة ازاي؟

- مش مهم عارفة ازاي، أنا عارفة حاجات كتير؛ عارفة إنك كنت بتسكر وبتشرب ومصاحب ناس مش كويسه بس عارفة كمان إنك بشر، وليك حق تغلط، عارفة إنك بطلت يا فارس، وعارفه كمان إنك مش هترجع عشان أنا أعرفك كويس وأعرف إن اللي جواك ثقة فربنا بنيتها من جديد، ربنا يثبتها، متخليش الموضوع يدايقك يلا وحاول تنام عشان عندك شغل كتير...

حاولت على قدر المستطاع ألّا أُشعره بأني أبكي، وحاولت فقط أن أبقى متزنة من أجله... أردت أن أشعره بأنه بخير وأننا بخير، ولكن الحياة ليست كلها أزهار وزمرد؛ بل حتمًا سنواجه بعض الشوك من فترة لأخرى، رفض فارس أن يغلق الخط وطلب مني أن أظل معه إلى أن ينام... ظل يتمتم بكلام لم أسمع منه شيئًا، عن العمل، وأصدقائه، ومشاكله مع والده، ولكن لم يكن في بالي سوى شيء واحد وهو أن اسأله عن ما أخبرتني به نور منذ عامين.

- .....صحيح أنا عايز أصحى الساعة عشرة؛ هتصحيني؟

أكيد، بس عايزة أسألك على حاجه وعارفه إنك ممكن تتدايق بس بجد عايزة أعرف.

- اسألي

- بص هو أنا مش قصدي حاجه والله بالكلام ده بس يعني... الفترة اللي مكناش بنكلم بعض فيها اللي هي التسع سنين اللي فاتوا دول، أنا كنت بسأل عنك وكده عشان... انت عارف طبيعي أسأل عنك يعني

المهم، من سنتين نور قالتلي إنك... يعني... مرتبط أو حاجة زي كده بس أنا عايزة أعرف الموضوع بس وسبتو بعض ليه وكده

تلهثت كثيرا في الكلام من توتري وخوفي أن أجرح مشاعره بسؤالي هذا، وصمته يجعلني أريد من الأرض أن تنشق وتبلعني لأني لا أتحمل هذا الندم.

- حور، أنا كنت غبي.... إني مشفتش جوهرة كانت قدامي ومسكت فكسرة إزاز عورتني، أيوا البنت دي كانت بتستغلني، ارتبطت بيها فعلًا؛ بس لأني مكنتش أعرف إنك مستنياني، أنا كنت بسأل عليكِ ع طول وأتطمن عليكِ من بعيد يا حور بس عمري مكنت أحلم إنك تكوني ليا في يوم من الأيام... متفتكريش إني مش حاسس بدموعك دلوقتي، متعيطيش، أنا بحبك واللي هيقف بينا هشيله من على وش الأرض.

لم أستطع النوم ليلة أمس بعد حديثنا فذهبت إلى الجامعة وعدت وأنا أبدو وكأنني قد أفقت لتوي من غيبوبة، وأنا عادة لا أبدو سيئةً عندما أداوم يومين بدون نوم، أنا حقًا لا أستطيع فهم البيولوجيا البشرية، تنام أحيانًا لعدة أيام، بينما لا يغفل لك جفن في أحيان أخرى، لكن معظم الأيام أنام لساعات وساعات لأنني لا أريد أن أستيقظ.

ومع ذلك؛ فإن اليوم يعد استثناءًا لأيام نومي الطويلة، واليوم ذهبت للتو إلى المدرسة دون نوم ومن المدهش أن أصدقائي أخبروني أن "بشرتي تبدو لامعة اليوم"، لكن هذه كذبة عرجاء سمعتها كثيرًا من قبل، قد يود بعضهن

قليلًا من المساعدة في "اللغة الإنجليزية كلغة ثانية" والبعض الآخر يريد تسريحة شعر أو طلاء أظافر وقرّر أن يبدأ بمجاملة، وهذا هو ما عليه الحال كل يوم؛ لذلك كان يومي كله مجموعة من ثلاثة؛ أنا، أنا، وأنا.

كان اليوم فارغًا جدًا ومملًا كعادته بعد أن أنهيت دروسي وبقيت مع هايدي قليلًا، إلا أن أبرز ما في يومي هو أنني لعبت مباراة في كرة الطائرة مع أصدقائي في الجناح الرياضي، في بعض الأحيان تتعرف على هؤلاء الأشخاص الذين تستمع إليهم وتدردش معهم لساعات وساعات ولكنك لا تزال لا تتذكر أسمائهم، نعم، لدي عدة منهم.

منذ فترة طويلة قررت أن لا أحد سيساعدني حقًا، عندما نظر إلي ابن عمي بشفقة وقال "لن تكوني على ما يرام بعد الآن" لم أشتكِ، لكنه كسر ما تبقى مني، وهو من رجم ما تبقي من قلبي وكأنني اطلعت في عين ميدوسا حتى تحجرت، هذا كله توقف عندما قابلته... لا، في الواقع لم أقابله، أنا أعرفه منذ زمن بعيد ولكنه ما زال غريبًا، آهٍ لو كنا تحدثنا منذ زمن!! لعلنا الآن مقبولين في عين هذا المجتمع.

لايعلم الناس أن الفعل البسيط المتمثل في تحريك لسانهم يمكن أن يضر أو يكسر شخصًا ما، يمكن أن يكون مؤلمًا حتى تتمنى فيه أن تكون غير مرئي، وبالتالي تبدأ في التصرف كأنك غير مرئي. حديث الناس سيجعلك تعتقد أنك عديم الفائدة وغير مرغوب فيه، سيجعلك تشعر أن وجودك يمثل عبئًا على الأشخاص من حولك وأنك لست مقبولًا في المجتمع فقط لكونك تملك نظرة مختلفة للأشياء... يعاملني الناس باستغراب عند العلم

بأني أكتب روايات، ليس لأني صغيرة أو قاصرة عن تحقيق أحلامي؛ ولكن لأن الناس تهاب ما لا تفهمه، والمستغربين يتفوهون بتفاهات تؤثر في.

لم أحمل عبء تلك التفاهات قط، ولكني حملت عبء إرضاء جميع من حولي، إذا حاولت إرضاء جميع من حولك لعلك تنام مرتاحًا ليلًا، ولكنك لن ترضيهم وسوف يجعلك هذا ترغب في الموت، في النوم وعدم الاستيقاظ مرة أخرى، لتتلاشى، يعمل المجتمع أحيانًا على تغييرك ومزجك وتشكيلك، كأنهم يمتلكونك! لكن أكبر جريمة هي ترك المجتمع يقرّر من أنت... وعندما ينتهي بك المطاف في الحفرة المظلمة للنفق حيث يكون الظلام كحلًا لدرجة أنك لا تستطيع رؤية كف يدك، فلن ترى المجتمع أيضًا وهذا لن يساعدك، سيكون الأمر مؤلمًا، معتقدًا أنك غير مرغوب فيك. الرغبة في الموت أمر صعب أيضًا، لكن الأمر الأصعب هو الشعور بأنك مسؤول عن جر نفسك إلى أسفل، ليس لديك سبب يستحق مقدار اليأس الذي تشعر به، لكنك لا تهون عن نفسك على أي حال.

عندما عدت إلى المنزل، واجهت نفس المجادلة اليومية التي صرت أعتبرها روتينًا، "لا تنامي وادرسي" و "بعد دراستكِ نظفي هذا وذاك" و "أنتِ لا تدرسين بما فيه الكفاية" و "ادرسي أكثر قليلًا"، أنا حقًا لا أمانع من الدراسة، لكن هذا يزعجني عندما يستقبلني الجميع في كل مكان بكلمة "دراسة".

رن الهاتف مرة أخرى وأنار ضوء الشاشة؛ فالفتيات في مجموعة المحادثة هذه متفرغات جدًا ومتفاعلات للغاية، وبالتأكيد ليس لهن حياة يهتمون به؛ بما أنهن يستغرقن كامل وقتهم في التحدث عن أشياء ذو أهمية طفيفة، تتحدث (سارة) عن طرق تحضير الحلو بينما تجادلها (مها) عن رفع معدلات السكري في الجسد وتتدخل بينهما (هاجر) معترفةً أنها لا توقف استهلاك الحلويات حتى في فترة اتباعها الحمية، يجب علي كتم إشعارات هذه المجموعة لأنني سأفقد أعصابي إذا استمر الهاتف في هذا الضجيج، وضعت القلم الذي كنت أستخدمه لحل ورقة عمل الفيزياء الخاصة بي لتحريك مفاصل يدي؛ إنهم متورمون من الاستخدام المكثف للقلم.

أهدف إلى أخذ هاتفي وإيقاف تشغيل الموسيقى، لكن وأنا على وشك فتح الدردشة الجماعية، دخلت أمي الغرفة.

– هاتي التليفون

مدت أمي ذراعها وضيقت عينيها مؤكدةً على كلمتها التالية

– –دلوقتي

كنت جالسةً لساعات طويلة لأقوم بأداء واجباتي الفيزيائية ومثلما أنا على وشك أن أتحقق من هاتفي تظهر هي من حيث لا أعلم. أنا على علم بهذه الظاهرة؛ وهي الحالة التي يصاب فيها والداك أنهما يراقبانك فقط عندما تقوم بشيء لا يعجبهما، ولكن يبدو أنهما ليسا في أي مكان عندما تفعلان شيئًا قد يقدرهما.

أنا مستيقظة لمدة ٢٠ ساعة متتالية وليس لدي أي طاقة للقتال، لذلك اخترت عدم الرد عليها ومواصلة ما كنت أفعله فهفيت شعري القصير قبالة كتفي بعد أن وضعت إحدى السماعات بأذني اليمين وواصلت الكتابة رغم أني لا أعلم شيئًا ولا أفقه شيئًا في هذه المادة؛ فظللت أكتب اسمي مرة تلو الأخرى لأريها أنني أدرس؛ فلعلها لا تجهدني في نقاشات ليس لها أول من آخر، ومع ذلك، فهي لم تغادر وشعرت بنظرتها الباردة وعينيها تتحرك من يدي إلى وجهي.

- هاتيه دلوقتي، حالًا!

- انتي قاعده تضيعي وقت كتير في التفاهات دي! عليكِ أن تنتبهي لدراستك، مش هتنجحي فحياتك وهتفضلي طول عمرك فاشلة وجيبالنا كلام فكل حتة!

وصار صوتها يرن رنينًا مزعجًا في الهواء وهي تصرخ في وجهي الآن، لم أسمع شيئًا مما تقوله لأنني لم أحاول حقًا الانتباه. الدراسة هي المخرج الوحيد لي من قفص الوحدة وفترة الدراسة هي الفترة الوحيدة التي تسمح لي بها بالاحتفاظ بالهاتف، ومعظم الوقت؛ إنها تسمح لي فقط بالاحتفاظ به لأني أحصل على إذن من والدي؛

فهي تعرف أني يجب أن أستمع إلى الموسيقى عندها سأتمكن من حل أي شيء رياضي وإلّا لن أكون قادرةً على التركيز، وهي تعرف ذلك جيدًا، أعرف ما تحاول القيام به، إيجاد أي طريقة لتأخذ هاتفي وإبقائه بعيدًا عن متناولي رغم أنني قد لا أستخدمه، لقد بدأت منذ أن كنت صغيرةً، أولاً كان

لديها الكثير من الأسباب، أنني أحتاج إلى الدراسة، أحتاج إلى التنظيف، ولست بحاجة إلى الهاتف لأنه قد يُسرق، ولكن الآن، أصبح الأمر شيئًا معتادًا أو روتينيًا بدلًا من كونه خوفًا أو تفكيرًا منطقيًا، وهو ضرورة إجرائية لدى أمي قد تتوقف عندها الحياة إن لم تكتمل.

تخيل أن تكون في الصف السادس الابتدائي مع عدم وجود هاتف محمول لائق، في الواقع بدون وجود هاتف على الإطلاق، اعتدت على تجنب الناس لأنني إذا لم أكن كذلك؛ فسوف أكون مصدرًا جديدًا للضحك، كان التنمر في مدرستنا أسلوب حياة، ما هو أسوأ من ذلك هو أن المتنمرين كانوا هم الطلاب المفضلين للمعلمين! لذا؛ إذا كنت تعتقد أنك تستطيع الاشتكاء إذا تنمر أحدهم عليك فأنت تطلق النار على قدمك، إذا تعرضت للتنمر ماذا علي أن أفعل؟ لا شيء! اسمع تعليقاتهم، ثم اعذر نفسك وانفرد عنهم لتغطس وحدك في حزنك _وهذا ليس حلاً اختياريًا_

في الوقت الحالي، حتى عندما أرغب في التحقق من الوقت، أشعر بالخوف الشديد لأنها ستخرج من أي مكان بأعذار عرجاء لا يعقلها أحد، ينتهي بيننا الأمر كل مرة بخلاف مشتعل ولأي سبب من الأسباب، كنت دائمًا أهتم بها وبما تقوله ولكني اعتدت البرود؛ لأنه في قاموسها بصوت الإشعار الذي أتلقاه يترجم بأنني لا أدرس.

لقد ظهر تعبيري المتعب على وجهي بعد رفضها التنازل "أنتِ تعلمين أنني لا أستطيع الدراسة بدون موسيقى" وأقولها بهدوء مع عينين مرهقتين بمشاعر ممزوجة تتوسل إليها بصمت لتركي.

- أراهن أنكِ تقدري تزاكري من غيره؛ إذا كنتِ عايزة تعملي حاجة هتعمليها، هو انتِ هتغلبي! مهو مش معقولة تبقي ابتلاء ربنا ليا فكل حاجه كده، مبتعمليش حاجه مفيدة فحياتك تستاهلي التليفون على إيه بقا!!

إنها تعطيني نظرة حادة وتضيق عينيها البنية في وجهي مرة أخرى، هذا لا يُصدق أكيد تمزح معي!! لأنني لن أتعامل مع هذه الحجج في الوقت الحالي! أنا وأمي على هذا النوع من التعامل لطالما أتذكر؛ عندما تحاول أن تصبح أمًا حقيقية أتراجع أنا خطوة، وعندما أحاول أن أكون ابنةً حقيقيةً ترفض هي النقاش.

- انتِ بجد سايبة إني بذاكر طول اليوم وجاية تتخانقي دلوقتي في الموضوع ده؟ عايزه تنكدي عليا قبل منام زي كل يوم صح؟ طب أقلك! أنا مش طالبة معايا نكد النهارده خديه أهو وسيبيني!! ولا عايزة إيه تاني !!
- عايزة إيه تاني؟ دي طريقه تكلمي بيها أمك يابنت الوسخة!! صايعة وواطية وقليلة الأدب! ربنا ابتلاني بيكِ ليه!! انتِ عايزه مننا إيه تاني أكتر من اللي بعملهولك!
- بجد بتسأليني عايزة إيه؟ (ضحكت بصوت خافت) وانتِ من امتى مهتمة باللي أنا عايزاه؟ أنا بطلت أعوز منكم حاجة!! مهو كل حاجه لا!

- بصي يبت انتي! أنا أعرف كويس الألعاب التي بتلعبيها فمتحاوليش تعملي عليا الشويتين دول وتبيني للناس إنك مكسورة، انتِ بنتي و أنا أعرفك أكتر من نفسك !
- انتِ تعرفيني أكتر مني؟ هههههه لا والله! بس الصراحه كويس إنك فاكرة إني بنتك... يلا عيد ميلادي الي عدا مفتكرتيهوش مش مشكله بس هي فين كل حاجه اللي تعرفيها دي؟ طب يست العارفه فكره أول معرض ليا كان امتى؟

توقفت أمي واحمرّ جفنيها من الغضب، و بين صمتنا ثقل تنفسها... إنها لا تجيب؛ لأنها نسيت، هي نسيت.

ما هو لوني المفضل؟

ما هي أغنيتي المفضلة؟

ما عدد الروايات التي كتبتها؟

لن أزعج نفسي بأن أسأل أيًا من تلك الأسئلة، ستبقى جميع الأسئلة غير معلن عنها، ولست بحاجة إلى طرحها لأنني أعرف الصمت الذي سيتبعها، هي لا تعلم شيئًا عني،

أمي لن تتقبل الهزيمة أبدًا؛ فإنها دائمًا تقلب الطاولة؛ فعندما تسألني ماذا أريد أن أصبح عاجزة عن الكلام، ليس لأنني لا أملك شيئًا في القائمة؛ ولكن لأن القائمة ممتلئة إلى حد أنني لا أعرف من أين أبدأ.

أريد هاتفي، لكنك دائمًا تأخذيه.

أريد أن آخذ دروسًا في الرسم؛ لكنكِ لن تسمحي لي بذلك.

أريد أن أقرأ، أقسمتِ بحرق رواياتي.

أريد تكوين صداقات، أنتِ تدفعيهم بعيدًا.

أريد حريتي ، أنت تسلسليني بقيودكِ.

أقوم بجمع كتبي من الطاولة بسرعة، وأتجه إلى المغادرة لأنني لا أستطيع تحمل المزيد من الهراء، لكنها توقفني.

- انتِ يا جاموسة!! أنا قولتلك امشي؟ أنا بكلمك اقفي وكلميني
- عايزة إيه تاني؟
- خدتي الشنطة البني من أوضتي ليه؟
- لا أتذكر أنك ذكرت أي شيء عن عدم أخذ حقيبتي من غرفتك، وبالتأكيد لا أتذكر إعطائها لكِ في المقام الأول
- مفيش حاجه اسمها بتاعتك في البيت ده! مفيش حاجه بتاعتك! انتِ من غيرنا ولا حاجة!!

هذا يجعلني أبتسم، الفرق هو؛ أنا كل شيء بدونكِ، ليس لديكِ فكرة عما أنا سأكون عليه بدونكِ، تومضت عينيها باللون الأحمر عندما ابتسم على تفكيري السري وهي تصيح

- بتضحكي؟ متعرفيش إحنا بنعمل إيه عشانك؟
- أيوه صح، اقعدي قولي لنفسك إنك بتعملي عشاني كل حاجه لحد ماتصدقي نفسك

- وأنا لو مش بعمله عشانك، بعمل عشان مين؟
- بتعملي إيه معلش؟؟ بتخلفي عيال عشان أنا أربيهم؟ بتنامي طول النهار وتصحي تطلبي الأكل؟ لا متشكرين مش عايزين!.

ثم أردت أن تتوقف عن إلقاء اللوم عليّ وتذكرني طوال الوقت بأنني مضيعة للمال، أنني لست ذات أهمية بدونهم، إنني لعنة الأسرة بلاء أجبرت على تربيته... الندب طريقتها لإظهار أنها تفعل شيئًا من أجلي "أنتقل إلى المغادرة ولكن أتردد، لأنني لا أستطيع التوقف عند هذا الحد.

- عارفة، أنا عمري ما طلبت منك تعليم أجنبي، انا اتحايلت عليكم كتير أدرس زي باقي البشر والخلق؛ متلوميش غير نفسك على المصاريف!!.

"فهي تعلم؛ أنا أكره ذلك! أكره المدرسة! وأنا أكره الكلية! وإذا فشلت في مسيرتي؛ فذلك بسبب اختيارها، والخيارات التي قمت بها" صحيح أنني لم أرغب في أي شيء من هذا؛ فأولًا لم أكن أرغب في الحصول على تعليم بريطاني، كانوا يعلمون أنني لم أكن من نوعية الطالب الذي يذاكر كثيرًا، وهم يعرفون أن وضعي في هذا الحال سوف يدمرني، لكنهم أخذوا القرار على أي حال.

أتذكر كم مرة توسلت لدراية المنهج المحلي، ركضت إلى غرفتي قبل أن تتمكن من الإجابة وقمت بقفل الباب ورائي، أثناء جلوسي على مكتبي، كان كتاب الفيزياء الخاص بي مفتوحًا فرميته لآخر الغرفة في غضب

ومعاناة، أكره الفيزياء وأتعرفون ما المضحك؟ إنها ماده اختيارية ليست اجبارية، ومع ذلك اختاروا لي أن آخذها!

لن أجعلك تتحكمي بي، أريد الصراخ، أشعر أن الحمض يقطر أسفل حلقي من كمية الدموع التي تركتها وتميلت على الحائط، على الأرض فعانقت ركبتي وهمست لنفسي كلماتي المعتاده.

لن أبكي.

لن أبكي.

لن أبكي.

عدي... عدي ومتفكريش فحاجة... عد الأضواء ١، ٢، ٣ ...١٢

عد الكتب على الرفوف ١، ٢، ٣، ٤ ... ٢١

أشعر أن الدموع تشق طريقها وترتدي شفتي، قرعت رأسي على الحائط حتى يتراكم الألم الجسدي لتغطية الألم العقلي.

سئمت من منع الألم..

أقوم بالزحف إلى المكتب، وعلي أن أكتب أي شيء؛ يجب أن أكتب كل شيء، ومع ذلك، ليس لدي كلمات في ذهني، لذا أكتب الكلمات التي أعرفها جيدًا بالفعل وأتمتم مع كتابتي:

– محدش هيفيدك غير نفسك... محدش هيحبك غير نفسك...

أتعلمون ماذا يعني القهر؟

القهر ليس الإحساس القاتل الذي يأتي حين تعشر أنه تم الغدر بك، أو أنه تم الاستغناء عنك؛

القهر ليس الندم على ما يجب أن تندم عليه، ولا هو الغلب الذي يأتيك في مواساة نفسك المكسوره...

بل هو ذلك الإحساس الذي يأتيك وأنت تحلق في السماء تحسد النجوم على تلألئها، وتلعن الدهر الذي غيب عنك حبيبك... أن تضحك على سخرية القدر.

سخرية القدر أن تُلام على ما لم ترتكبه، أن تقع في حفرة بنيتها أساس منزل لمن تحب، وكسرة القلب أن يوقعك من تحب في تلك الحفرة، أن تطيع شخصًا لك احترامه وأنت له من العبيد، أن تغرق في بحر دموعك ولا تجد أرضًا تستند بها، أن يحرقك شخصٌ بنارٍ أشعلتها لتدفئه.

وقمة القهر أن تنكر لك الحياة جميلًا بذلت به مجهود، قمة القهر أن تتعلق في حبال شخص ما وقع من قمة الجبل.

بحثت عن صورة فارس التي احتفظ بها في هاتفي... شعرت بأنني حمقاء ومعتوهة لأنني أحدث صورة فارس؛ لكنه الشخص الوحيد الذي أريد أن أتحدث معه والشخص الوحيد الذ أريد الاطمئنان عليه، وكان الشخص الوحيد الذي أريد أن أشتكى له عن غيابه هو فارس.

أغلقت الباب على نفسي في غرفتي رافضةً التحدث لأي أحد في البيت؛ لأني استلمت نتائج الترم الدراسي الأول اليوم... لم تكن كما آملت.

بعد بضع ساعات من أخذ هاتفي عادت أمي مستفسرةً مَن فارس، فعلمت أنها قرأت ما بيننا من محادثات، ولعله هاتفني فردت هي... لم أعلم قط سبب سؤالها؛ لم أعلم أن بعد عودة أبي المنزل كانت من أحلك أيام حياتي ومن أسوأ آلامي، عن كم السب والإهانات نتحدث، أم عن كم التعنيف والضرب؟ لم أشهد بحياتي قدر كراهية كما شهدت في هذا الدهر الصغير... كانت هذه الليلة تمر ببطئ شديد فأغمضت عيني لأنعس، مت لفترة، نمت دون احلام... دون أحزان، وأفقت لأبكي قليلًا، ثم نمت مجددًا.

سمعت آذان الفجر فانتفضت لأستحم، ملأت حوض الاستحمام بمياه باردة؛ جلست فيه أفرك الدماء من على جسدي بعنف وأنا أبكي؛ شعرت بالخزي... ليس لأفعالي بل لعدم دفاعي؛ مررت بهذا من قبل، كثيرًا، لم يمر أسبوع لي سوى بتعنيف ولكن طال هذا التعنيف كثيرًا ولم أعد أتحمل.

استشعرت قدماي ويداي ترتعش، أتحسسها من أصابعي لركبتاي فاشعر بأحد تلك الجروح القديمة، عندما قيدني على السرير وأتى بمضرب الكرة الطائرة الحديد وإذا به يضربني مرارًا وتكرارًا بذلك المضرب على قدماي حتى لم أعد أستطيع المشي عليها لأسابيع، وتشكلت تكتلات وكدمات لم تزل لهذه اللحظة، كنت في الثالثة عشر، لا أتذكر حتى سبب تلك الوحشية... لعلي أخطأت مجددًا! لعلى لا أتوقف عن الخطأ!

انتقلت بيداي لكفي الأيسر، حيث يوجد علامة حرق مستديرة تزين ظهر يدي... ذلك من فعل أمي أعتقد، لا أتذكر، ولكني كنت في الثامنة، ربما كان الأمر متعلق بعلبة الألوان التي زينت بها حائط منزل جدتي مع ابنة عمي؟ فانغمرت بالسب والإهانة لأمي ونسيبتها ولكن أتذكر... دافعت زوجة عمي عن ابنتها بينما مددت يدي لأمي لتحرق يدي بظهر ملعقه منغمسه بالزيت الحار كعقاب، لعلي إذا ابتعدت وفررت لما كنت لأحمل عبء هذه الذكرى المرة.

لم تكن تلك اللسعة ببشاعة البقعة الضخمة التي تزين قدمي اليمنى، كنت بالعاشرة من عمري.. صرخت بي أمي أن لا أنام قبل تنظيفي المنزل ولكني كنت قد ذقت من المرار ما يكفي لدهور فانسحبت، أغلقت باب المنزل ورائي وأنا اتسلل بهدوء، سرت في الشوارع المضيئة أتخفى في الظلال وأنا أبكي... بكيت لأني شعرت بروحي تنتزع من قلبي لأنه حتى بعد عنفهم كانوا الوجوه الوحيدة التي أدركتها على مر السنين؛ ولكني لم أتردد ولم ألتفت، حتى ظهرت سيارة أبي أمامي وجررت للمنزل زليلة، أختي تنظر لي باستحقار؛ فامتنعت عن النظر لها أو لأي أحد منهم... جلس أبي أمامي باحثًا عن مبرر لهروبي، وجدت الكلمات لكني لم أقل شيئًا؛ لأن كلماتي لا تشكل فرقًا ولا تساهم في تغيير نظرتهم لي كتلك "الحقيرة الباخسة" التي بلاهم بها الله لاختبار صبرهم؛ لم أدري أنه مع تلك الضربات التي تلقيتها كانت تحميه في وقت انتظار لتلك السكين الكبيرة التي وضعها على شعلة عالية بينما كنا نتحدث.

أتذكر صريخه وهو يثبتني أرضًا بقدمه ليجثوا أمامي ولا يهزه صراخي وهو يحرق قدمي اليمنى؛ أتذكر كلماته وهو يقول "لتتذكري ذلك اليوم الذي أخطيتِ فيه قدمًا خارج منزلكِ"... كنت بالعاشرة من عمري؛ ولكن هذا عقاب أولياء الله الصالحين لشيطانهم أليس كذلك؟ ولا يقتصر الأمر إن كان هذا الشيطان من صُنعهم....

اعتاد إهلاك جسدي وعقلي على يديه... ولم يبالِ قط بأنه لو كان لمرة واحده... مخطئًا.

أتذكر يوم نتيجة الثانوية العامة؛ بعد علمهم بفارس بعدة أشهر؛ اعتمدت استعمال هاتف أمي بشكل طفيف حتى لا تشعر بأنها تعطيني حرية أكثر مما أستحق... أمسكت بالهاتف وفتحته دون النظر للرسائل فالآن آخر ما أحتاج إليه هي المواساة ... فكم من منافق أعرف؟

لم أجد أحدًا لأشتكى له.... لم أفشل ولم يكن مجموعي كارثة ولكن أي شيء غير كامل هو فشل بالنسبة لهم، ترهقني فكرة أني ساعيش هكذا كلما طال وجودي في هذا المنزل، تقبلت الخطورة وهاتفت فارس؛

"مرحبًا" ، قلت همسًا ولا أدري إن أمكنه سماع اضطراب صوتي وشعر بشفتي المرتعشة.

"أنا آسف لأن هذا هو الحال، ولكن لا تبكي أرجوكِ" صوته لطيف كما هو الحال دائمًا، فهو على بعد أميال، ولكني أشعر أن دفئه يصل إليّ، ويمسك بي ويسكنني الهدوء."

"أرجوك، اتركني في حال سبيلي، ما أنا إلا قنبلة موقوتة، وعندما أنفجر؛ لا أريدك انأن تكون موجودًا لتشهد ذلك الضرر" أخبرته بهدوء رغم دموعي.

"لا، لا أستطيع تركِكِ.. لا أستطيع العيش بدونكِ؛ سأنتظرك"

أقدر أنه يحاول التخفيف عني، لكن بطريقة ما نجعل الأمر أسوأ "يوما ما سيجمعنا منزل وعائلة تعوضك عن مر ما مررتِ به"

توقفت عن البكاء منذ ثلاث سنوات، عندما كان عمري ثلاثة عشر عامًا، كانت سنتي الأولى في دراسة الثانوية الأجنبية (IGCSE) عندما اعتقدت أنه لم يعد هناك شيء مهم حقًا، وطورت اللامبالاة حتى صارت جزءًا من شخصيتي، لم أختر أن أكون أنا، وكل ما أمكنني فعله لإنهاء معاناتي كان التغلب على نفسي، وليس محوها؛ فاقتنعت أن البكاء ضعفي وأنني لن أبكي أيًا كان، ولن أشعر، ولن أمنح نفسي الوقت للتفكير فيما يضر.

أخبرني أحدهم أن أتوقف عن إخفاء ابتسامتي من قبل، إن ذلك الشخص هو الرجل في الطرف الآخر من الخط، أصبح فارس صامتًا بعض الشيء الآن، واستمر صمته طويلًا جدًا.

"عايزِك تهدي؛ مفيش حاجة مستاهله" ، صوته كضوء ريشة من الشمس.

صمت آخر.

"كان عندي شوية مشاكل أنا كمان... ولازم أروح أشوفها بقا، تمام؟"

"تمام... أنا آسفه طولت عليك"

"هتبقي كويسه؟" سألني فلم أجب لأنني حقًا لا أدري،

من الواضح أنه لا فائدة من الاستمرار في الحديث، لكن لا أحد منا يعرض وداعًا، أنا؛ لأنني لست مستعدةً لأن أكون وحدي بعد، لأنني بحاجة إليه، وهو أدرى، لذا أغلقت الهاتف دون وداع وأعدته لمكانه في غرفة أمي.

تركني لأفكر بنفسي عن ما جعلني أكلمه من الأساس ، شعرت بضيق نفس لاتهامات أمي وأبي لي بالفشل رغم نجاحي بجيد جدًا... ولكن ليس امتيازًا!

أنا لا ألوم غير نفسي، لكن الامتحان كان فظيعًا، فأنا لست الشخص الوحيد الذي أخفق، فقد فشل نصف دزينة من الدفعة؛

"بس انتِ لسه ده مش آخر قدراتك يا حور، انتِ تقدري تجيبي أحسن من كده"

إنه على حق ، لن أناقشه؛ ولكنه يعلم أنني أجبرت على هذا المنهاج، والشعبة؛ فما باليد حيلة. تمنيت أن أدرس الطب البشري، ولكن كلما علم أحد زادت السخرية وضقت زرعا من الأمر...

"انتِ تجيبي طب بشري!" قالتها جدتي بصوت ساخر بين عماتي؛ كل منهن تحمل من أبنائها الصناعة والتجارة، وحتى تجارة المخدرات، ولم يتحدث معهم أحد، فوخزتني أمي من ذراعي في الخفاء ألا أريهم علامات الحزن التي باتت على وجهي لساعات؛ كنت أفكر في سبب يجعل الجميع يستخف بي، في النهاية أنا أدرس أصعب منهج أجنبي بالعالم لأن أبي أخذ على عاتقه غربتنا، بينما أطفالهم يدرسون بالمناهج الحكومية التي لا تعلوا صعوبة وجدية؛ فمن تحديدا اعتاد الاجتهاد في الدراسة؟ أنا أم هم؟

أتذكر أول أعوام ذلك المنهاج.؛ جثوت على قدمي أمام كرسيه... أترجاه.

– بابا مش هقدر! مش عايزة أدخل البريطاني... دخلني عربي...عشان خاطر النبي.

رعبتني فكرة أصعب منهاج، شعرت أنني عاجزة عن تحديد مصيري بيدي؛ كنت بالرابعة عشر من عمري، طفلة ساذجة ذكية لا تحب الدراسة ولكن تنجح بالفكر... إلى ما سيأخذني ذاك المنهاج؟

كان أول عام أصعبهم، مواد التأسيس جميعها على عاتقي وكأني أذهنت لاستيعاب كل ما قيل في مواد عمقها دراسة الجامعه وليس الثانوية؛ من مدرسة للمنزل لدرس لدرس آخر فأعود للمنزل الساعة العاشرة مساءا؛ لم أقتنِ اليوم بطوله ولا نفس لراحة بين الحصص والدروس... للإنسان قدرة استيعاب وتركيز خمسة وأربعون دقيقة في اليوم فكيف لي استيعاب كل ما قيل من الساعة التاسعة صباحًا للعاشرة مساءًا، وما زاد الطين بلة هو خوفي من عدم النجاح لتهديدات مستمرة بسحب أوراق دراستي فأرى ما تراه سندريلا دون ساحرتها؛ الخادمات حقيقيون ولكن لا يوجد كائن خرافي يحول اليقطين لعرفة من أجلهم، كانت من أسوأ سنين حياتي فضعفت من الوزن عشرة كيلو دون محاولة، وصار وجهي هيكلًا متآكلًا من الجلد على عظام هشة.

اللامبالاة

مش خايفة من الموت؟

لية، هو أنا عايشة أصلًا؟

اعتدت أن أحسب كل شيء؛

الأرقام الفردية والأرقام الزوجية ومضاعفاتها، أعد علامات الساعة، أصابع الساعة، أحسب المسافات بين الأسطر على الورقة، أحسب دقات قلبي المكسورة، وعدد المرات التي يستغرقها استنشاق الأكسجين لرئتي، وأظل هكذا أحصي حتى تتوقف مشاعري وضجة عقلي، حتى تتوقف الدموع عن إراقة الدماء، وتتوقف الكوابيس عن السيطرة، حتى يتوقف قلبي عن الألم.

لا توجد أرقام كافية على الإطلاق.

لا أعرف متى بدأت.

لا أعرف لماذا بدأت

لا أعرف أي شيء عن أي شيء إلا أنني أصرخ.

بدأت والدتي في الصراخ عندما أدركت أنها عالقة معي وبدأت رحلتي عندما أدركت ما فعلته لأمي وأبي، عندما أصبحت عارهما، كلاهما يصرخان، أخبرني أنني يجب أن أكون شاكرة دائمًا وأبدًا لما يعطيني؛ لوجود الطعام عندما زقزقت معدتي، لعلاجهما لمرضي العقلي؛ لأنه يوجد حب وتضحية، وكل تضحياتهم كانت لسعادتي، لقد أدخلت الخراب حياتهم..

سرقت منهم متعة الحرية وربطهم بجأشي وطمعي، سلبت من أمي أمل التربية، ومن أبي فخر الذرية.

ألا ترين أنكِ دمرت كل شيء يا حور؟

حاولت جاهدةً لإصلاح ما دمرت، حاولت بجد أن أكون الطفل الذي أرادوه دائمًا، وحاولت دائمًا أن أكون أفضل، لكنني لم أعرف حقًا كيف!

أعرف فقط أنني قُذفت من على حافة الهاوية، وكنت أحاول الصمود لمدة أربعة عشر عامًا، لقد كنت أحاول الصعود مرة أخرى، لكن من المستحيل التغلب على الجاذبية عندما لا يكون هناك أحد على استعداد لتقديم يده.

شفة واحدة، كلمتين... ثلاثة، خمسة أصابع في قبضة واحدة،

زاوية واحدة، والدين، ثلاثة...أربعة... خمسة أسباب للاختباء

طفل واحد وعينان وثلاثة.. أربعة عشر عامًا من الخوف.

انظروا إلي، أنا ما صنعتم، أنتم جعلتموني ما أنا عليه، لقد أذبت وكسرت وشكلت، لماذا الآن تكرهونني؟

تحدث معي كل فترة، ساعدني في إنهاء دموعي ، وليس انسكابهم. أرغب في الزفير لأول مرة في حياتي، أريد التنفس يا أبي...

الكلمات السيئة هي الوسيط الوحيد بيني وبينهم.

و الصفعات المقيتة التي حطمت قلبي.

لا أفهم تمامًا منظور والدتي لبعض الأشياء، مثل لماذا تهتم كثيرًا بما يقوله الناس بدلًا من ما يحدث فعليًا؟! لماذا تأخذ كلمات الناس كمجال يتجاهل شعور أطفالها؟ ولماذا قد تخبر أبي بكل شيء بدلًا من أن تكون

مسؤولة عني؟ رأت رسائلي مع فارس مرة أخرى فانتزعت مني حق التواصل... بوعد أن هذا التواصل لن يحدث مجددًا...

أفكر أحيانًا في أمي على أنها حجر طيب القلب، لا تهتم إذا كانت كلماتها تؤذي شخصًا، ولا تهتم عندما يبكي أحدهم بسببها، ولا تجرؤ على الاعتذار لشخص ما.

كانت أمي تعيش حياة صعبة، عاشت في منزل مزرعة، سبعة أشقاء يتقاسمون نفس الغرفة، كان عليها أن تشاهد خمسة أشقاء عندما كان أجدادي يخرجون من المال، وبالطبع الأم القوية في القانون التي أضرت بها لسنوات عديدة، إنها تعتقد أن أحداً لم يمر بأي شيء مرت به حتى عاشت متجاهلة مشاكل الجميع.

لكن لدي هذا الاعتقاد بأن كل شخص لديه إمكاناته الخاصة؛ يمكن للجميع أن يتحملوا مستوى معين، وأعترف بأنني ضعيفة للغاية مقارنة بإمكانياتها، إنها امرأة قوية للغاية لا بد لي من الاعتراف بها.

استيقظت اليوم على كابوس... أخذت أدويتي التي لا أتركها منذ ثلاثة أشهر بلا نتيجة، مترحلة من طبيب لآخر... فأستفيق لأحدث الشيخ عبدالودود؛

- أتاكِ اليوم؟

- حدثني فقال؛ نلتقي في اللهيب المجمور... ثم ثقل جفني فلم أر مجددًا، ولكني سمعت صريخًا في أذني يكاد يفتكها؛من المفترض أن

يكون الشعور، كما شعرت بشيء، لقد شعرت من قبل، الغضب، نعم.

العذاب، نعم... كذلك الإحباط، نعم...

ولكن ليس هذا، لا شيء مثل هذا.

اعتقدت أنني قد أفقد عقلي.

– سأعالجك، أعدك... ما هذا إلا جن عاشق، وما الجن مقارنة بمحاربة شياطين الإنس؟

مرضت تارةً وغفوت من التعب تارةً أخرى ولكني لم أكن أشتكي؛ وجدت راحتي في القراءة كثيرًا في ذلك العام، ما يزيد عن مائة رواية... في أوقات ظن الجميع بها أنني أدرس بينما أهلكتني الدراسة، وضعت رواية جانب سريري وبت أقرأ كلما ضاق بي نفسي؛ وجدت جمالًا في الأسطر... وكان لها روح، وكأنها تتحدث لي، كانت منفذي الوحيد.. رأيت أصدقائي في الصور، جميعهم يحتفلون في مطاعم، يتمشون على الكورنيش أو حتى يصطفون لطوابير المشاهير في مناسبات خاصة، شعرت بالأسى على حالي، ألا أستحق الحصول على لحظات كهذه؟ هل لإنسان العيش دون تواصل اجتماعي وترفيه؟

– بابا، عيد ميلادي بعد كام يوم؛ البنات حابين نخرج مع بعض كده شوية... ممكن أنزل أنا وحبيبة ساعتين ونرجع؟

– مش فاضي أوصلك، الوقت الي هتقضيه أولى بيه المذاكرة،

- بذاكر كل ساعة من كل يوم، اتخنقت شوية... ده يوم، مش يوم الي هيحدد نجاحي وسقوطي، والنبي خلينا ننزل،
- مش فاضي لا أوصلكوا ولا أراقبك؛ مفيش نزول... يلا روحي ذاكري.

كانت تلك المحادثة المعتادة لهذا العام، أحيانًا كان يوافق على التجمعات مع أصدقائي؛ فيملأني العشم بالفرحة ولو ليوم بهذا العام الكئيب، وعند ساعة الرحيل يعود عن قراره... "لن تذهبي لأي مكان، عودي لغرفتك." فيتملكني الصمت أمامه، أحيانًا يكون قد نوى الرفض من البداية ولكن لم يفعل حتى أتم دراستي لليوم دون حزن، لم يدرِ... أنه كلما زاد العشم، زاد ألم رفضه.

كنت أمقت تلك الأيام كما كرهت خليقتي؛ شعرت أن الايام تنبذني وكلما أدركت أنني بالقاع وأن لا عمق عن ذاك الحزن؛ أدركت أنه ما زال هناك حزن أشهده أشد يوم بيوم، ينسى الناس أنّ لجمعينا قلوبًا، ومهما كانت محطمه فما تزال نابضة فلا أستطيع فهم لما يحاول الجميع بجد إيقاف ذلك النبض!

كنت أرغب في أن يكتب لي جميع أصدقائي خطابًا، وكان أغلبهم مرحبًا بالفكرة؛ حتى صنعت دفترًا يستخدمونه للكتابة لي بكل صدق وقتما شائوا، وأنا لا أقرأ نصوصهم إلا إذا فقدتهم، فقدتهم وتفرقنا في مفترقات طرق الحياة، والسفر، والدراسات، والعمل، وحتى الموت.

كان السبب الرئيسي لتلك الفكرة هو أنني كنت أخشى اليوم الذي أحجز به بعيدًا عن جميع أصدقائي، وبعيدًا عن جميع معارفي؛ فأصبح طيفًا منسيًا؛ تفهمت احتمالية جنوني وتركي لمستشفى أمراض عقلية، أو عزلي عن العالم الخارجي... خشيت أن أنسى العالم وينساني فلا أصبح سوى اسم ذكر على شهادة موت، أعطيته دفتر الملاحظات عندما رأيته آخر مرة منذ يومين، طلبت منه ترك لي ما أتذكره به؛ بانت عليه علامات ممتزجة.. كانزعاج واستعجاب، ولكني سأكون حمقاء إن لم ألاحظ نظرة اللامبالاة التي التبست وجه فارس كأنني أبدو كحمقاء ساذجة.

"انتِ عارفة كل حاجه فقلبي؛ ملهاش لزمه الكتاب والكلام الفارغ ده.. كله شكليات، انتِ هيهمك فإيه خط الإيد عن كلامي الحلو الي بقلهولك؟"

- عادي يعني، حبيت بس يبقا معايا حاجه أفتكرك بيها انت عارف بشوفك مرة أو اتنين في السنة، لو مش حابب الفكرة مش مشكلة أنا متفهمة.
- هي الصراحه مش فكرة الكتابة نفسها هي ... يعني... أنا مش عارف هكتب أقول إيه، كل حاجه أنا قلتهالك قبل كده.
- خلاص يفارس فكك
- المهم انتِ النتيجة معجبتش ماما وبابا ليه؟
- عشان مش ١٠٠٪
- طيب النتيجة دي مش فارقه، شوفي هتعملي ايه فـ ثالثة ثانوي وده الي بيفرق،

- لا نظامنا بياخد مجموع التلت سنين
- طب والنتيجة دي تدخلك إيه لو فضلتي كده؟
- طب في أماكن، هندسة ف أماكن، على حسب بياخدوا بريطاني ولا لا.....
- مش كنتِ عايزه طب بشري؟ ليه لأ؟

ضحكت بصوت خافت... أخاف حتى منه أن يجعل من طموحاتي أضحوكة... حتى هو الذي ترك التعليم...

فكرت كثيرًا، لم لا أحاول إخبار أمي مجددا بما أريده حقًا؟ فكرة إخبار أمي لا يمكن تخيلها؛ فتارةً تشجعني ـولو ليومـ وتارةً أخرى تبذل قصارى جهدها لتكسر تلك الثقة، لا أعلم لما، ولكن اعتدت أن لا أسأل، من الصعب جدًا التعامل مع أمي وهي إذا رأت مني ابتسامة أو ضحكة تحتقرني، لقد رفضت أن أضحك بصوت عالٍ أو أبتسم للكاميرا أمامها لهذا الأجل.

في الأيام التي كنت أبكي فيها اتهمتني أن دموعي مزيفة، أنني أتقنت تمثيل البراءة والمسكنة، عندما ابتسمت لنكتة أو ضحكت على كوميديا، كانت تسألني لماذا أضحك؟ هل لدي الأعصاب لأضحك؟ بعد ما فعلته بهما؟

بعد ما... أنا... فعلته بهما؟

بكيت فقط مرتين منذ ذلك الحين، عندما توفي عمي منذ عامين، وعندما أصبت بتلك الهيستيريا التي سببتها كوابيسي

لم أبكِ عندما مات جدي.

لم أبكِ عندما مزقوا مذكراتي.. مرارًا وتكرارًا.

لم أبكِ عندما ضربوني.

لم أبكِ عندما نزف معصمي كثيرًا... من محاولاتي الواهيه للانتحار.

ولن أبكي إذا آذوني؛ فيكفيهم رغبة رؤيتي منهارة وضعيفة... ذليلة.

أخبروني أنه علي أن أكون شاكرة.

على المنزل الذي قدموه، على الطعام والماء؛ لإبقائي على قيد الحياة، لكن لا أدري حقًا إن كانت هذه تسمى حياة...

تخبرني أمي أنني لست إنسانًا، حيوانٌ أنا. حسنِا، قد أكون كذلك. لقد مررت بأشياء لم يستطع أحد التعامل معها أو قصها لعل هذا يفرقني عن البشر... المعاناة تفرقني عن البشر.

ماذا أفعل؟ أين أقف؟

لا أعرف، لا أعرف حقًا.

محترقة، خائفة، مترددة لأخذ النفس فلعله لا يكون ملكي...

هل علي الشعور بالفخر للنجاة؟ أم الخجل مما مر؟

تمر الإجازة وتبدأ السنة الثانية؛ أجلس مع وردة في مكاننا المعتاد، وعيناها لا تبتعد عن معصمي، لكنها لم تسأل على أي حال، وأنا أعلم أن الأمر يتطلب كل ما لديها من قوة الإرادة حتى لا تسأل وليقتلها الفضول إن لم تفعل؛ لذلك أنا أنقذها تلك الإرادة.

– حسنا سأعترف، رغم عدم إرادتي بالحياة إلا انني أمتلك موهبة النجاة.

أضحك قليلًا، و أسحب سواعدي لتغطية الندوب القليلة المرئية، تستغرق دقيقة في التفكير فتقول:

– فلنأمل أن تدوم تلك الموهبة، لكنتي الآن مع ابليس.

– ما زلت لا أدري إذا لم أكن معه من الاساس!

– ألا يمكنك البقاء إيجابية ولو لثانيه من عمرك! لقد كتبتِ لك هذه الرسالة بالمناسبة، لكنكِ لن تأخذيها الآن...

"حسنًا، هذا ليس عدلًا!"

تركتها تكتب لي رسالة في دفتر ملاحظاتي قبل أن أعطيها لزميلة أخرى، فتروي لي زهرة القليل عن كيف وجدت تلك الفكرة جديرة بالتنفيذ وأنها طريقة جيدة لحفظ الذكريات، ولكنها تتردد في الآخر حتى تقول؛

– خليني صريحة معاكِ يا حور.. أنا شوفت الرسومات الي بترسميها عَ الهامش، ولفت انتباهي وحدة كبيره كنتي رسماها فالنص، رسمة لكائن كدة مرعب، عنده سنان حادة وظهره مقوس... فكراها؟

– أيوة... عرفاها .. مالها؟

– انتِ عارفه ده إيه؟

اومئ رأسي بلا كلمة فتكمل حديثها؛

- إذا كان يأتيكِ ليلًا حلمًا، كونك مكبلة أو مشلولة عن الحركة ويعتليكِ كيان ما... إنه من الجان؛ أغلبهم الجن العاشق.

- لا يا وردة انتِ بتقولي إيه!

- طب بصي هقولك كذا حاجه... الرسمة الي انتِ رسمتيها دي اسمها جاثوم ماشي، أعراضها هو الحلم الي قلتلك عليه ده... معاه تردد أو تهتهه وانتِ بتقري القرآن أو بتصلي.. تشاؤم من القدر كده وتعب نفسي مبيسبكيش... كل ده إيه؟ يا سحر... يا جن! مذكور في القران؛ روحي لشيخ حتى لو مش مصدقاني.. احتياطي؟

لم أستطع التحكم بأفكاري يومها، فرغت صبرًا من ضرر الإنس فيشارفني الجن! جلست أدقق في ذاكرتي؛ أجزاء من كوابيسي كانت متطابقه مع ما قالته زهرة، والأجزاء الأخرى كانت ذكريات تعلمت دفنها مع مر الزمن.

- ماما؟ عايزه أسألك حاجه؟

لم تحرك أمي ناظرها من أمام التلفاز فكررت اسمها مرارًا وتكرارًا ولكنها تتظاهر بالتطنيش؛ فذهبت لراحة غرفتي أشعر بغضب عارم وحزن.

ولكن لماذا؟ أكرر السؤال لنفسي في الظلام دون التفكير في جميع الأسباب التي ذكرتها وردة، شيء واحد أعرفه هو أن تلك الكوابيس عاشرتني سنين والآن اكتشف أنها ليست كوابيسًا، وحتمًا ليست محض خيال؟

أينهش الجميع في لحمي منذ الصغر؟

ولكن لماذا؟ بحق من أجرمت؟

وفي نهاية المطاف، لم يكن خيالي المريض ما يبقيني ليلًا ولكن كان ذاك الجن ... أكرهه.

إنه سم، يأكل الإنسان من الداخل للخارج بعد حقنه مباشرة في مجرى الدم ليشيل الأعضاء ببطء حتى لا يتنفس.

فتصبح... غير... قادر...على ... العيش...

لأن الوحدة قد وضعت نفسها في ملابسك، تستنزفك حتى الموت في زاوية مظلمة من العالم وكنت قد نسيت بالفعل أن هنالك أشياء تستحق النجاة من أجلها، كالغد المشرق... الذي لا يحين أبدًا، فيظل.. غدًا.

فالحياة مثل الداندليون.

إنها تأتي بمليون شكل وحجم، ولا تقدم أي ضمانات إن كانت تأوى من النحل والبعوض الذي سيؤذيك إن مسسته، ولا ضمانات من إن كانت ستعيش طويلًا أو تجف سريعًا، ولا تعاطف مع رجل أخبر ابنه أنه سيشتري باقة الورد تلك لأمه في عيد الأم، ولا يوجد اعتبار لفتاة أرادت رؤية الورد يتفتح في صباح اليوم، لا وعود للعالم المرهق الذي كلما سحب وردة ربطها باختيار قد يغير حياته.

الحياة مثل ذلك تمامًا.

في بعض الأحيان ممتلئة ورقيقة وتطفو، وأحيانًا مظلمة والطاقة داكنة وتنتحب السم والغضب والانتقام والكسر.

معاناتها..

لها الألم...

لعلها هدية ترحيب من جهنم..

لأنه بمجرد مرور العاصفة مرة واحدة فقط بعد أن تغمر الدموع، يتم تجميع الأنهار وتغسل الأوساخ والحطام والدمار والانحطاط... حينها؛

حينها فقط...

قد تشرق الشمس في الخارج فأبتسم للسماء، وأدعو لربي أن يبعث بملكه ليحين وقتي....

أتوقع عودتي للمنزل فأجد عمتي هناك، وهي الوحيدة التي أستطيع التحدث معها بخصوص الرقية الشرعية وتطير الروح ، لقد كانت هنا لفترة من الوقت، أسبوعين فأكثر أعتقد، وشهدت الدراما في منزلنا مع الكثير من الشجارات، والتي حاولنا أن نقللها قدر الإمكان فترة وجودها، أعتقد أن وجودها هو السبب الوحيد وراء احتفاظ أمي بالتعبيرات المحايدة، لكنني أعرف أن هذا التعبير سوف يتحول قريبًا إلى تسونامي قد يدمرني عقليًا فور خروج الزوار من عتبة هذا الباب.

كانت تحضر حقيبتها في غرفة الضيوف وأنا أجلس على الأريكة أشاهد برنامج لم أشاهده من قبل، فقط للتظاهر بأنني مشغولة فلا يطلب مني أحد شيئًا؛ فكلما أقف تدور رأسي لأقع فعندما أبر أمي تنعتني بتزييف المرض:

– الشلل الي بتتمنيه هيجيلك لو استخسرتي صحتك

قالتها بنظرة كبرياء وبنبرة صوت تشويش، بدأ الأمر منذ أسبوعين، كنت أحادث فارس فشعرت بوخزة حادة جعلتني أصرخ فوقع من يدي الهاتف ولم أرَ سوى سوادًا، وألمًا حادًا في رأسي فتتآكل من الوخز، تكرر الأمر، مرةً بعد أخرى فآخذ من مصروفي الشهري للطبيب وقت الفسحة، اكتشف إصابتي بالتهاب الأذن الوسطى، وآخذ إلى المنزل روشتة العلاج التي لم أصرفها بعد، ذهبت من الطبيب للمدرسة على قدماى لأوفر مال الكشف، ولكنها كانت أغبى ما قمت به إذا بي تصيبني نوبة ألم وأنا في منتصف الطريق فتصدمني سيارة متزنة على ذراعي الأيسر أمام حبيبة في طريقنا للمنزل،

أدخل المنزل لأضع الثلج على ذراعي وأحمل رأسي الذي من الألم سينفجع؛ أفكر هل أخبر أبي بكشفي أم لا أفعل... وما ستكون ردة فعل كليهما؛ فاستقر أن أخبرهما في وقت أستطيع التفكير فيه بعيدًا عن تأثير عقلي هذا.

ترجيت أمي وأبي بأخذي لطبيب ما؛ فقتلني ألم ذراعي ونحرني دوشة عقلي... قررت ألا أُذل أكثر فتركت الأمر لنفسي، كنت بعد أسبوعين قد جمعت مبلغًا آخرًا فاشتريت العلاج، واليوم وأنا على تأثير العلاج ولم تكن تعلم فأخبرتها عن شعوري بالدوار كما أخبرت عمتي، نظرت لي أمي كأنني أخذيها بين الناس فتوجهت لغرفتي أغفو قليلًا على مفعول المسكن؛ تأتي أمي، تهز قدمي لأفيق.

– سآتيكِ بعد عشرة دقائق، أريدك أن أجدك في المطبخ تجلين الأطباق.. سآتيكِ وفي يدي ما يؤلم.

لم أبالِ لتهديدها فقد تملكني النعاس والإرهاق الجسدي والعقلي؛ أستفيق على صفعة حادة من سلك كهربائي، أتحسس قدمي فإذا بالجلدة تسخط جلدي وتزهق دمائي، لا أعلم اذا كنت قد صرخت.. فكنت نائمة، نظرت لأمي وبيدها السلك، مستعدة لاستخدامه مجددًا، تخبرني بالنهوض، ولم أفعل.. قلت لها سأنام، وإن لم تدعني أنام لن تستفيد مني بشيء في كلتا الحالتين، تنظر لي مرة أخرى وتجلدني مرة، فلا أصرخ، مرة أخرى، فلا أصرخ، مرة ثالثة، فالرابعة، فالخامسة، حتى تدخل حبيبة الغرفة مهرولةً تسحب من أمي سلك الكهرباء، وأنا بالكاد أرى من ضجة عقلي ودموع عيني.

أخبرتني حبيبة أن أقوم بما طلبته حتى تتوقف عن تعنيفي؛ فأبيت. علمت أن الحل الوحيد لجعل هذا العنف يقتضي هو إظهار الحصانة ضده... عدم الخضوع له، تركتني أمي وذهبت لغرفتها، لمحت بعينيها شيئًا من الأسى ولعلها كانت دموع بسيطة.... لم أدرِ لما، ولكني يقينة أنها ليست للأذى التي أتتني به.

ترددت الحادثة، مرة تلو الأخرى، حزام من جلد، خشب شائك، سلوك كهرباء، وكل ما تستطيع إلقائه فيؤلم، أنهكت قواها هي وأبي، ولم يعد عنفهم يجدي: ما زالوا يعنفون ولكنهم على دراية أن هذا لن يخضعني.

فلن...

أُذل...

مجددًا.

– تحدثت إلى مدرسيكِ اليوم؛ قال أحدهم أنه يشعر بخيبة أمل شديدة ثم تنهد أبي؛ ممسكًا بعجلة السيارة بقوة يكاد ينتزعها من عنقها، كلبة ملتوية مثلكِ لن تضيع سوى الوقت في التحدث مع المدرسين عن كيف أهلها يظلمونها... تتمسكنين مجددًا؟

صمت آخر

دمعة أخرى

– لمَ الدموع؟ فأنتِ لستِ إنسانًا حتى لا تستحقي أن تُسمين إنسانًا. فشلت عمدًا في هذه الامتحانات، لن أجعل الأمر سهلاً بالنسبة لكِ، لن تكون حياتكِ سهلة أتعهد بذلك طالما أنا أتنفس.

لا يتوقف عند هذا الحديث ولكني أداري وجهي للجهة الأخرى فلا يرى من حزني شيئًا، وفور وصولنا للمنزل ألتف لأبتسم له، ثم أسرع لغرفتي حاملةً تلك الابتسامة الزائفة، لعل كلامه أضاف على الحريق بداخلي ولكن ابتسامتي هذه ستقتله غيظًا، أغلق عيناي بإحكام لأنني لن أبكي، ولا أستطيع البكاء، ولن أبكي.

الـ(دانديون)

آخر محاولة، عشان آخر وردة ذبلت.

بطلتي تكلميه؟

آه

معتيش بتسألي عليه؟

لا

وهو بطل يسأل عليكِ؟

لا

هترجعوا لبعض؟

لا

انتي بتسرحي بيا صح؟

آه

فور معرفة أبي بفارس حادثته فانفصلنا... لأنني لم أعد أتحمل المزيد من التعب.

انتشرت كتاباتي على مواقع السوشيال ميديا وصار لي جمهورًا؛ لم أكن ممثلة ترتدي ما يشف ولم أكن مغنية متبرجة بما يصف، ولكن شعر الناس بالمعنى بين خطوط حياتي وكان قلمي يثقل الجفن بالدموع بعضًا، وينثر الفرحة في القلب بعضًا أخرى... جميع القلوب إلا قلبي، اصطنعت الفرحة تارةً فتفتحت لي أبواب النثر للناس؛ كتبت رواية في وحدتي ثم شاركتها القراء؛ كتبت الثانية فشاركتها المسابقات، وكتبت الثالثة فطالبت بها بعض دور النشر؛ في أوقات وحدتي كتبت الشعر ولم أشاركه أحدًا قط لأني على

درى أن لا قلب سيتحمل وحدتي، ولا عقل سيفهم هول التعاسة التي تتحملها كلماتي.

- انتِ صحيح لسة ١٧ سنه؟ وازاي وصلتي للمكانة دي فسنة واحدة وفي السن الصغير ده!
- صح فعلًا، ممكن نقول كنت في ظلمات غرفتي أروي للأشباح بينما من في سني كانوا يختبرون التصادقات والتجوال دون هدف!
- تحبي تقولي إيه للكتاب الجدد؟
- من تجرأ على الحلم، وصل!
- ليه بتكتبي بالانجليزي، ليه مش بالعربي؟
- من وأنا صغيرة وأنا متربية على تعدد اللغات، بحب اللغة العربية بس أسلوبي ضعيف فيها، واحترامًا ليها قلمي مش هينزف حبر عربي إلا بعد إتقاني لها.. غير طبعًا تشجيع عامة الشعب بتعدد اللغات سواء إنجليزي أو فرنسي فالأدب ألوان!

استغرقت أيامي أجيب على أسئلة مذيعين على الهاتف، وفي أول فبراير أترجى أمي لحضور معرض القاهرة فكان خروجي الأول والأخير في العام _اصطفت أمامي المذيعات يمثلون جرائدًا ذات اسم ليروا تلك الفتاة التي أبكت العالم_ سألني العديد؛ أنكتبين من حياتك أم من خيال؟ ضحكت ضحكة خافتة وأجبتهن أن الخيال هو واقعي، أومأت المذيعة رأسها بالاتفاق وبت أفكر هل حقًا فهم أحد إجابتي؟ أيفكروني أجبت أن خيالي

محض كتاباتي؟ أم أني أجوب الخيال باحثة عن قصة؟ ألا يدرون أنني أفصل وأصنع من حياتي خيالًا أعيش فيه لراحتي وليس لكتابتي!

تعرفت على ذلك الشاب الذي أعجب بها بحق؛ فتواصل مع أختها سائلًا، "أتقدم امتى؟"

فور أخذه ردًا من أبي ذهب للزيارة مرارًا وتكرارًا؛ أحبني فأحببت حبه لي، أعطيته قلبي بعد عناد دام طويلًا.. أعاده لي سليمًا بعد جروح فارس، كان بشوشًا ولطيفًا، عطوفًا ومسؤولًا، كان يتحمل لامبالاة أبي وشروط أمي ليصل لي وكان كاملًا..

زين هو اسمه؛

سرق قلبي بعد ثلاثة أعوام من المحاولة... لم يحبني أحد بقدره، حتى فارس، فوعدت نفسي له بعدم جعل مأساتي مع فارس تفرق بين قلبي وقلبه، وعدت نفسي بالغدو فتاةً تستحقه، لا فتاةً تستغله ليطيب قلبها.

زين لم يكن ملاكًا خاليًا من العيوب، ولكن لم يجعل عيوبه قط تؤثر فيّ بالسلب، كان سريع الغضب مع الكثير ولكن لأجلي يتمالك أعصابه، كان إنسانًا ذا روح طاهرة، اعذر من الحقد والخذلان،

وأين فارس؟

تزوج أبو فارس من امرأة تشاركني الوسط الأدبي؛ أعرفها شخصيًا فقد أخبرتني بلسانها عن ورقة العرفي التي مضت عليها وعندما كشف غطائها هي وزوجها الجديد؛ كذب وأبى؛ أنكر فارس وأبوه وجود هذه المرأة في حياتهم قط رغم الأدلة... حتى جائني هذا الاتصال؛

- حور...

- فارس؟

- أنا آسف أنا وعدتك هبعد عنك وعن مستقبلك.. وعدتك هتطمن عليكِ من بعيد؛ بس أنا محتاجلك أوي يا حور..

اهتز قلبي وارتعش من نبرة صوته، لم اتردد لأخبره أن يكمل حديثه بدلًا من أن أغلق في وجهه السكة، صمت وسمعت وهو يشرح لي كيف وقعت أخته من الصدمة واحتاجت عملية قلب؛ حزن قلبي للتفكير في هذا فكانت اختي كأخته، مريضتا قلب شفاهما الله؛

- فاطمة حطت بوست عالفيسبوك بتعلن الزواج من أبويا ردت أختي عليها بتقول الكلام ده كذب واحنا ميشرفناش تبقي مرات أبونا؛ تصدت لها أخت المذيعة فاطمة قالتلها كلام وقعها من طولها، وماما هتسيب البيت وحاصل مشاكل كتير أوي بسبب الموضوع!

شرع في البكاء ولم ألحظ فارس قط بهذا الضعف... أخبرني عن سمعة تلك المرأة التي جمعتني بها معرفة سطحيه ورغم ذلك كانت تتصل بي بالساعات فالآن أدركت لما.. أتريد التقرب مني لله وللوطن؟ أم لها مني مصالح؟

- يعني هو دلوقتي مش عمو غلطان يروح يتجوز واحدة تانية؟

- لا الكلام ده كذب، هو متجوزهاش.. هي اللي من ساعة طلاقها وهي بترسم على حد معاه فلوس يفتحلها قناة؛ وطبعًا أبويا أغنى تجار البلد..

غريب هذا، كيف لامرأة بشوش تستلطفني أنا وغيري كثيرًا أن تحمل هذا الكم من الكراهية والتسليط، طمأنت فارس أنها إذا حدثتني في هذا الموضوع لأنهيه ولا أشاركها أي من عوني. شعرت أن هذه المساعدة لن تكفيه ولكنه لم يطلب أكثر من ذلك، وبعدها بدقائق حدثت أقاربي وأصدقائي الأدرى بما يدور في الأنحاء، وعجزت عن تصديق كم المشاكل التي سمعت؛ بدا كل شيء من أخته...

تعرفت أخته على شابٍ ما راسلها على الفيسبوك وشكلت علاقة حب عبر التواصلات ولكنها لم تكن بريئة قط... شاركته صورها التي أفرطت في كشف جسدها فيها؛ ظنًا منه أنه يحبها فشاركته تلك المعصية، وبعد بضع ساعات طلب منها المال حتى لا ينشر صورها عارية أمام الجميع.

صدف وجود صديق فارس في مكان المقابلة السرية وهي تعطيه المال التي سرقته من خزنة أبيها؛ استدعى الصديق أخوها فارس فأمسك بها عائدةً المنزل.. عندما علم بكل شيء أخذ من الرجال كثيرًا، وهاجم ذلك الولد؛ فدفع له في قضية اعتداء مالًا فوق ذلك الذي دفعته أخته. ومن هنا بدأت مشاكل تلك العائلة ويتصدى لهم كل من طمع في مالهم بذلة أم بأخرى.

شعرت بالخيبة أنه لم يشاركني تلك المعلومة ولكن تفهمت أنه سيصعب عليه البوح بما فعلته أخته، خاصة للفتاة التي أحبها.. أم ما يزال يحبها.

بعد تعمقي في الموضوع اكتشفت أن أعداء العائلة كثير، ولكن لم اكتشف حقًا نوايا المذيعة فاطمة التي لا تزال تهاتفني لتناقش شعر العامية والروايات والمقابلات التلفزيونية؛ كانت في فترات تجعلني أتحمس

للمقابلات التي تقوم بها معي على الهواء مباشرةً وفي فترات أشعر بالأسى ونقص الحيلة بأنها تدّعي البرائة لا أكثر.

حتى حادثتني ذات مرة بهدف آخر.

- الو ازيك يا حور عاملة ايه؟
- كله تمام الحمد لله أخبار حضرتك؟
- الحمد لله الحمد لله بقلك عايزة أسألك على حاجه ولا الوقت مش مناسب؟
- لا حضرتك اتفضلي طبعا
- وانا بكتب تقرير عنك بصيت عندك عالفيسبوك لقيت ناس كدة معارفي؛ فارس ومحمد والد فارس تعرفيهم؟
- ايوة احنا قرايب من بعيد....
- بس قرايب؟ من فترة كان فارس عندي وقعدين نهزر ونضحك سألته مش هنفرح بيك.. رد قاللي في واحدة قريبتي قمر شبه الأجانب هروح أتقدملها بس لما تخلص إعلام فربطت الاتنين ببعض وملقتش غيرك!

بدا على صوتها الفرحة على اكتشافها هذا واتضح أنها عالمة بعلاقتنا القديمة من ذي قبل.. لم أرد أن أكذب وفي نفس الوقت شعرت أنها تتطفل على ما لا يعنيها.

- أيوة، صح الكلام ده بس احنا انفصلنا وكل شيء قسمة ونصيب

- بصي يا حور؛ عشان احنا من نفس البلد وانتِ معارفك هم أنا اعرفهم انتِ أكيد عارفة الحوارات الي حصلت صح؟
- لا، حوارات ايه؟ أنا مبقعدش كتير فالبلد حضرتك عارفه.
- طيب بصي أنا هقلك

وراحت تهذي لمدة نصف ساعة عن كيف التقت بأبي فارس وقصة الحب الواهية التي كانت من تأليف خيالها المريض ولم تأت بذكر ما فعلته هي وأختها بأخت فارس التي ترقد الآن في المشفى تواسي قلبها ليطيب.

وهي تتحدث خطرت في بالي فكرة، فشغلت مسجل المكالملات في حالة بوحها بشيء ما أسأل به فارس... طالت ساعة تتحدث وتتحدث عن أحداث أشك بواقعيتها، حتى وصلت لأنها تزوجت من أبي فارس بعد طلاقها الأخير بعام ومنذ فترة زواجها باحت لبعض الناس، وعندما انتشرت الكلمات دون عمد حصلت نزاعات بين العائلتين؛ أو ثلاث... فمنهم عائلة والدة فارس التي أطلقت وعدًا بترك المنزل ولكن جرد زوجها من ممتلكاته التي تتعدى المائة مليون دولار.

سألتها إذًا لمَ لا تطلب الطلاق؟.. فردت بأنها حقًا تريد الطلاق ولكنه لا يجيبها فأسرها كأسير مكسور الساق، حرمها من الحرية كما رفض الاعتراف بها كزوجته؛ بدا لي تصرف وحشي إن صح قولها ولكني أدري أنها تهذي، قالت إن طلاقها مرفوض لأنه لا يريد دفع المؤخر والنفقة التي قد تعد بالملايين، ولا يريد الإشهار بزواجهم لكي لا تتركه زوجته الأولى أم أولاده والتي قد يحكم لها القضاء بنصف أملاكه.

في آخر المكالمة طلبت مني أن أساعدها، فسألتها كيف وأنا لا علاقة لي بما يجري؟ قالت أن فارس ما زال متعلقا بي، فإذا حدثته أن يتقبلها في العائلة فتقبل أخته، فتقبل أمه؛ سأكون قد أصلحت كل شيء؛ قالت إن رفضت مساعدتها فستجد حلًا آخرًا فلا مشكلة.. أخبرتها أنني سأفكر بالموضوع، وأغلقت الخط ثم أرسلت التسجيل لفارس.

بعدما رأى بثوانٍ رن هاتفي وكان فارس يبدو سعيدًا جدًا؛ فرحت عندما علمت أنني سبب سعادته هذه فلعله لم يسعد لأشهر!

– انتِ عارفة أنا أمي لو سمعت التسجيل ده هتفرح أوي! كده هي فاطمة عَ العلني بتخطط وبترسم على العيلة...

فسكت قليلًا وقل تحمسه..

– بس ده مش كفاية، التسجيل ده مش دليل قوي.

استغرق خمس دقائق ليفكر بطرق يستغل قولها هذا ولكن لم يجد فكان حديثها في التسجيل لا يضرها أو يمسها بشيء، فطلب مني أن أسجل لها أي محادثات أخرى؛ فقد ينتهي هذا العداء بين جميع العائلات إن اعترفت هي أن خبر الزواج هذا كاذب.

وهذا ما حصل؛ لتدلو لي بدلوها اضطررت أن أوافقها وأخبرها أنني مستعدة لأحدث فارس في أي شيء، من هنا بدأت فاطمة تتحدث، فتتحدث ومع كل دقيقة تنكشف عنها بشاعة قلبها أكثر فأكثر؛ تستغلني للوصول لمال هذا الرجل وتخريب بيته وتشرد أبنائه ، لم أتردد لإرسال

تلك المكالمات لفارس الذي كان يكتسب ثقة في ذاته لإيقاف تلك الحداية من نهش لحمهم،

سبع تسجيلات

سبع تسجيلات صوتية تكفلت بثوران أبي لدى علمه.... تهاتف المسكينة فاطمة أبي لتخبره بما أجرمت ابنته في حقها، فهي بريئة كل ما أرادته إثبات زواج مزيف...

حادثت زين فور حدوث هذا؛

- الو؟ زين؟
- ازيك يا حور، انبسطت اني سامع صوتك!
- عايزه أسألك فحاجه!
- قولي يبنتي في إيه؛ متخضنيش كده.
- أنا كان ليا..... زميل كده؛ حصل معاه مشاكل والدنيا مش لطيفة وكده، جت واحده ست أعرفها أشهرت بأبوه إنه متجوزها عرفي عشان يعني فلوسه وكده... الست دي جت تطلب مني أساعدها أخرب بيته وأشرد عياله! كنت أوافقها ولا أعمل الصح وأبلغ العيلة دي بمخطتها!
- قلبي بيقلي إنك عملتي حاجة أصلا... أنا رائبي إنك تنبهيهم أحسن، عمر ما كان فيه خير في خراب بيوت..
- وده الي أنا عملته!

وعدني فارس لدى استلامه التسجيلات أن اسمي لن يذكر، وأن صوتي لن يُسمع، ووثقت فيه، لدى علم أبيه بالتسجيلات طلب جلسة حق يجتمع بها كبار البلدة من شيوخ ومحاميين تهدف للإصلاح، منذ ذاك الحين لم أعد أرد على اتصالات فاطمة دارية بأنها علمت بما فعلت، أخت فارس عادت للمنزل سالمة وتعلمت الضحك مرة أخرى بعد صلح والديها، وكشف الحقيقة، شعرت بالفرحة في الأول، حتى أدركت هول ما فعله فارس.. عندما جمعت تلك الجلسة كبار البلدة أخذ كل منهم نسخه من تلك التسجيلات.. ومن هاتف لآخر انتقلت... واتضح أن وعد فارس بالحفاظ على حقوقي كان كذبًا.

عندما وصلت التسجيلات أبي عادت الفترات المؤلمة الحالكة ولم يصدق أبي انقطاع اتصالي مع فارس قبل تلك المكالمة التي أعادت الشك، وشاهدت مستقبلي يتدمر أمام عيني، وأعمالي الروائية لا تجد من يكتبها أو يروج عنها، ظن أبي بي سوءًا أنني على علاقة بزين وفارس في آن واحد.. بينما كنت قد انفلت من فارس وكان كل ولائي لزين! نظر لي أبي بشفقة وهو يقول "زين ميستاهلش منك كده" فقطع بيننا الاتصال..

حتى سرقوا مني زين!

وها أنا أنظر لنفسي في المرآة مجددًا، أتحسس الدماء المكتلة على شفتي و رقبتي، أتفقد جسدي الذي ليس له سوى كيس لحم ودماء يخرج به غضبه، ثم أتفقد علامات الانتحار التي تزين ذراعاي من رسغي لمفصلي؛ أخذوا كتبي، حاسوبي الذي يحوي كلماتي وهاتفي الذي يصلني بنجاحي...

وعدت تلك الفتاة التي تروي في ظلمات غرفتها، ينهال علي أبي بالضرب كوسادة ملاكمة لا تحمل روحًا كل يوم؛ حاولت الانتحار ولم أنجح؛ فأمسك بيدي اليسرى ولواها حتى لم أرَ من الألم، وبيدي اليمنى أجبرني على كتابة خطاب انتحار... قال ليثبت براءته من أي مشاكل قانونية تأتي إذا انتحرت...

"أقر أنا حور، بأن ما فعلته الآن كان سببه تعبي، ولا تكلف نفس أخرى بما فعلت"

مرت أشهر واكتشفت أن كل ما قاله فارس كان كذبًا... كان يعلم بما فعله أبوه، بأن زوجته الثانية حق عليه، استغلني شر استغلال لأنال له ما لم ينله منها؛ اعتراف بالتخطيط مع سبق الإصرار؛ كل ما فعله أبوه كان صحيحًا من زواج، لحرمها حقوقها، لرفض طلاقها... ولكن هي لم تكن ملاكًا كذلك... هي التي دبرت لأخت فارس كمينًا وهمست في عقل الشاب بأن يحادثها ويفضح سيرتها لانتقامها من أبيها... وأنا في تلك الظروف أخطأت.. لثقتي في من لا يحميني ولا يأويني رغم وعوده الهاوية؛ ذلك الذي ذاق الخمر وتقامر وأخذ من المخدر أسلوب حياة، وأنا رفضت تصديق سيرته فأين أنا الآن؟

ماذا يراني الناس؟ فتاة تتآمر مع امرأة سيئة السمعة لتخريب منزل؛ ومن علم القصة الحقيقة يعتقد بي عشيقة شاب مقامر تنتزع شرفها لإثبات براءة أبيه المذنب... أين كان عقلي يا ترى؟ هل حقًا صدقت فارس عندما وعدني بأن يحميني من شياطين الدنيا؟ كيف وهو إبليس نفسه!

أعود لظلال غرفتي،

أعد نجوم السماء من النافذة،

أتمنى أن أكون واحدة بعد مماتي،

أتمنى أن يكون مماتي قريبًا،

أتمنى أنني لم أولد.

النهاية الأولى: الاستسلام

عدت حور نجوم السماء يوم بعد الآخر؛ تتسلى بها لياليها المتبقية في سجن غرفتها؛

لم تتحدث مع إنسان منذ أربعة أشهر؛ لا مع أصدقائها ولا مع أهلها؛ فكيف لها وقد جرد منها حق التعامل مع البشر؛ صدت أمها من جاء لرؤيتها وقيدتها في غرفتها ليلًا حتى لا تهرب.

أجبرت على فسخ عقود النشر والاستيلاء على مالها التي كانت تتحكم به أمها، رأت أختها تضحك وتتشاطر أطراف الحديث مع أصدقائها طوال الليل والنهار، وشعرت بغيرة عارمة... هل ينقصني عنها شيئًا؟ لم ولدنا من رحم واحد ولم نعش عيشتا واحدة... فكان البكر أعز على أبويه!

حادثت الهواء تحكي قصصًا لم تكن خيالًا؛ قصص عنف وتذليل؛ قصص شر وترويض فاسد... قصص قد تبكي من سمعها من جان يحضر جلستها القصصية.

"كان في مرة أب؛ أمه كانت غيرانه من عياله؛ عاشوا العيشه الي كلها نعيم بينما عاشت في صغرها في ضنك تجمع الثمر من الاشجار لقوتها، طلبت الحماة تزويج ابنها ثانية ليرزقه الله ولد بعد الفتاة الأولى فرفض، حمل آخر، "ولد!" هناهم الطبيب في الشهر السادس، وبعد ثلاثة أشهر من الاحتفالات جت البنت فخذلتهم؛ مش مشكلة، بلوة من الله لاختبار صبرنا! حورهنسميها حور، كان عمرها ست سنين حور دي لما شهدت أول شيطان الي استغلها جنسيًا لإرضاء شهوته المريضة ماما، أنا خايفة! من إيه يا حور!

مامتها نادت أبوها وعمها! بنتي اتمست من أوسخ إيد فعيلتكوا! سنين متعرفش حور إن ليها ابن عمة؛ نسيت حور الشيطان ولكنه لازمها فكوابيسها فصار له صورة من محض خيالها ولم تعلم أنه إنسان طليق يدب الأرض وينعم بحياة مرفهة رغم أفعاله... كيف تنظر لها أمها بعد ذلك سوى أنها مومس؟ كيف ينظر لها أبوها سوى أنها سبب في تفرقته عن أخته التي خذلتها تربية أولادها! كبرت حور في ظل؛ مبتقلش كلمتين غير وبتهته في الكلام، متعرفش ألوان العين عشان نظرها مبيثبتش غير عَ الأرض؛ حور كانت من أنسب الناس لتنمر العيال في المدرسة... كانت فعلا المادة الخام للنبذ والنحس.

وبدل مأهلها يصلحوها من أفعالها علموها العنف؛ كل غلطة ...بجلدة... بعقاب؛ وعمر مكانت كل حسنة بمكافأة، انتِ ذكية؛ وبتفهمي بسرعة يا حور بس انتِ دماغك مش في المذاكرة! عملوا إيه؟ متوقعين إيه؟ بنت من حور العين؟ الأولى على الجمهورية؟

حور جسمها مليان كدمات بس قلبها مفيهوش حتة سليمة؛ اتقالها مومس؛ اتقالها انتِ اللي رحتي معاه بمزاجك ومحدش ضربك على إيدك...

اتقالها مكنتش المرة الوحيدة! اتقالها مكان كلوا رايح جي عليكِ! واتقالها من أبوها الي اتمنت فيوم إنه مكنش بيكرهها واتمنت يحبها زي ما بيحب أختها؛ اتقالها أيوة أنا بكرهك ومش عايز أشوفك طول منا عايش؛ اتقالها يارتني مت يوم ولادتك؛

اتقالها ياريت تنتحري وتخلصيني من مسؤوليتك يبنتي؛ مرارًا وتكرارًا

اتقالها واتقالها واتقالها....

عمر مكان اتقالها انتِ كويسة وأنا بفتخر إنك بنتي؛ عمر مكان اتقالها أنا بحبك وانتِ حتة مني؛ علمها تلخبط بين العنف والحب وفهمها إن اللي بيحبك هيكون عنيف عشان مصلحتك؛ فبقت تدور على اللي يحبها حتى أتاها ذلك عنف تآكلها من الداخل، سمحت لهم بتعنيفها لأن من يتعنف هو من يحب..

حور ضعيفة؛ ضعيفة جدًا... ولعل ربك يأتيها من السماء بملاك يدعو لها بالمغفرة على ما ستفعله اليوم"

ختمت حور آخر قصة لها في الظلام؛ كان الجميع نيام؛ وفكت وثاقها بالسكين التي خبأته تحت وسادتها.. سارت ببطء خوفًا من إيقاظ أي أحد؛ خرجت للصالة تبحث في كل مكان على مفتاح الباب حتى وجدته فوق الثلاجة، تسللت للخارج دون ارتداء حجابها؛ فلم تكن تنوى النزول للأسفل؛ بل أخذت تتسلق السلم للأعلى، كلما تعلو خطوة قل ترددها، وصلت لسطح العمارة في دقائق كانت لها بطول عام، أخذت تقترب من الحافة ببطء؛ تبتسم.

"تمنيت الموت طويلا..." همست لنفسها،

"إن كانت ستنبذني الملائكة... فلتفعل؛ نبذتني الشياطين من ذي قبل! أليس من حقي الراحة!" أخذت تصرخ للسماء، للنجوم التي أحبتها وكرهتها في آنٍ واحد..... أصابها شيء من التردد فور قربها، اللاشيء تحت قدميها فارتجعت خطوة، وقفت لعشر دقائق كاملة في فراغ عقلها،

لم تكن تفكر في شيء، فقط أغمضت عينيها لتجرب الهدوء والسكينة في الموت، تتأكد أن هذا ما تريده،

اقتربت مرة أخرى لتجلس على الحافة، جلست حتى بزوغ الفجر فلم ترد كلاب الليل النهش في لحمها بعد مماتها، ولم تقصد كلاب الشوارع بل كلاب الإنس، أم شياطين الإنس بمعنى أصح.. فإذا كانت ستقبض روحها اليوم لن تترك جسدها لأولئك المسوخ الذين تسببوا في ضنك حياتها ولم تمنحهم فرصة أخرى لاغتنامها.

وجلست تشاهد ألوان السماء تتغير وتتحول من لون لآخر لآخر طوال ساعتين، هذا عندما يستيقظ أهل المنزل لصلاة الفجر، وقبل أي شيء... أرادت انتظار شخصٍ ما ليشهد على ما فعلته قسوته؛ بينما يبحث أبيها عنها في الشارع تشاهده من الأعلى وهي تبكي.. حتى رآها من الأسفل فدخل العمارة مهرولًا أعلى السلالم.

وهي تنتظر أبيها وقفت تفكر في كل شرخ وجرح من كل من أخطأوا في حقها... آه يا أبي لو كنت ضممتني في ذلك اليوم لتخبرني أنك تحبني، وأنك تسامحني على ما لم أرتكبه حقًا.. لم يكن سيكلفك شيئًا قول أننا على ما يرام، لكان أفضل من لومي على خلق الله لي...

لكرست حياتي في إسعادك

لدعوت لك فجرًا وضحى

لأردت إسعادك دومًا وأبدًا، ويشهد الله على كلامي هذا، فعلتي على عاتقي؛ ولكن دمي على يديك!

تمتمت بكلماتها الأخيرة ناظرةً لأبيها الذي ارتعش من هول المنظر، مدت يديها تشير للسماء وللنجوم التي قد اختفت؛ وخطت للخلف.

تاركةً أبيها يصرخ صرخة الإنكار الأخيرة التي سمعتها قبل أن ينطفئ كل النور؛

لتشعر باللاشيء...

النهاية الثانية: الاستنكار

عدت حور نجوم السماء يوم بعد الآخر؛ تتسلى بها لياليها المتبقية في سجن غرفتها؛

لم تتحدث مع إنسان منذ أربعة أشهر سوى أختها الكبيرة.. كانت الوحيدة التي لا تعاملها بسوء ولا تلعن ولادتها كأبيها، أو تهلكها في عمل المنزل اللامتناهي كأمها؛ أمها من جاء لرؤيتها وقيدتها في غرفتها ليلًا حتى لا تهرب، ولكنها لم تنوِ الهرب؛ فبالرغم من ذلك الجحيم إلا أن أختها تنقل لها البهجة ولو لثوانٍ معدودة فاليوم

أجبرت على فسخ عقود النشر والاستيلاء على مالها التي كانت تتحكم به أمها، ولكن أمها في جميع الأحوال... أم أرادت ابنتها أن تكون ناجحة وسعيدة إلا أنها اختارت هذه الإرادة كحجة سخيفة لغضبها المفرط وخوفها المؤذي.

ترى حور تبتسم لأختها في يوم ما فراحت تتذكر آخر مرة ابتسمت ابنتها لها، زارت غرفتها يومًا بعد نوم الجميع فأعطتها قلم ورزمة من الورق الأبيض المسطر، لم تفهم حور ماذا تريد أمها القول فطالما كان هناك هدف خلف أفعالها، لم تهتم حور حقًا بأسباب والدتها لأنه لم يعد هناك ما تخشى حور منه؛ كل شيء في حياتها انتزع منها تحت شعار خوف الوالدين الذي لطالما شكت في وجوده.

راحت حور تكتب وتكتب طوال الليالي، إن لم تنثر الكلمات أو أسطر الشعر كانت تكتب اسمها مرارًا وتكرارًا واسم "أحمد" الذي لطالما أرادته أمها منذ خطأ الطبيب في تشخيصها وقت الحمل، وبدأت ترسم مع

الكتابات أشكالًا أغلبها لا تمثل سوى شخابيط عنف أو توتر ولكن بعضها تمثل قلوب مكسورة ونزيف الشريان، باتت ترسم وردة الداندليون في كل صفحة بجانب تلك الأشكال العشوائية والكلمات.

بعد ثلاث سنوات من وحدتها مع الورق، يصل خبر نجاحها في التعليم المنزلي بشهادة الإعلام، تتألق حور وتذهب لاستلام شهادتها محاولةً تجنب أي نقاشات مع والدها الذي لم يحادثها طوال هذه الفترة وأصر اصطحابها بنفسه "كي يحميها من أي تصرف أحمق" كما قال.

وهي ذاهبة للكلية تصطدم بصديقتها التي لم تلقاها أو تتحدث معها منذ ثلاثة أعوام داخل مكتب الاستلامات، أسرعت حور في بدأ أطراف الحديث

– وردة! لم أعلم بقدومك الآن!

تبين أن وردة لم تحضر حفلة التخرج ففضلت شهر عسل في إيطاليا بعد زواجها الذي أقيم فور انتهاء الامتحانات، بدت وردة مندهشة بلقاء حور، فلم يعلم عنها أحد شيئًا طوال الأعوام الأخيرة؛ امتلأت خدود وردة وتوسعت عينيها وبان عليها جمال النضوج عما كان فتبسمت حور لصديقتها، قائلةً؛

– عَ الأقل حد فينا مبسوط.

تأملت وردة إرهاق صديقتها رغم تألقها، وشعرت أنها لا يجب أن تسأل عن أي شيء يخص اختفاء حور أو شكلها المتدهور الآن، عن السواد الذي يحوط عينيها أم عن جسمها الذي يظهر عليه الضعف رغم ملابسها

الفضفاضة، نسيت وردة غضبها على صديقتها لعدم ردها الرسائل أو الاتصالات، لم تقم وردة سوى بضم صديقتها إليها ذارفةً دموع الفرح لوجودها سالمة؛ قليلًا ما تدري أنها محطمة.

بدت حور في عجلة عندما تذكرت انتظار أبيها في السيارة خارجًا فقامت مسرعة بإخراج رزمة ورق كبيرة من حقيبتها تعطيها لوردة ومع نظرة تساؤل صديقتها قالت:

- تلك رواية، بها كل ما تحتاجين من أجوبة عن اختفائي من حياتكم... أثق بكِ أن تنشريها تحت اسمك أو أي اسم تختارين بعيدًا عن اسمي... فقد انتزع مني ذلك الحق منذ زمن.

هدأتها صديقتها ووعدتها بنشر الكتاب ليعتبر منه الناس، ذكرت حور حاجتها للذهاب قبل شك أبيها فأومأت وردة رأسها بالتفهم، فقبلت رأس صديقتها ولكن قبل ذهاب حور التفتت فسألت:

- وردة... وزين؟

بدت ملامح الحزن على وجه وردة ولكنها تدرك أنه لا يوجد وقت لتواسي حور فقالت مسرعة؛

- حفلة زواجه فبراير المقبل...

ذرفت دموع حزنها في طريقها للمنزل ولم يسألها أبوها عما أصابها في السيارة بل على صوت المذياع ليغطي نفسها المتدهور.

وفور دخول غرفتها نامت حور في دموعها؛ أتدرون لمَ من الخطأ النوم بعد بكاء..؟

لأن من المحتمل أن يتوقف..... القلب....عن ...النبض؛

تدفن تحت التراب فتسقى دمائها وردًا أحمرًا يزين قبرها؛ تمر سنتين وتقرر أخت حور أن تبدا في قراءة الكتب التي تركتها حور في غرفتها كتذكار دائم لترثه أختها، تضع أصابعها على الكلمات التي كتبتها حور على الهامش في أوراق الصفح...

وفي المكتبة مرة تصادف كتاب بعنوان "بنت حور العين" فتجذبها رسمة الداندليون التي تزين الغلاف فتخرج من جيبها المال لتشتريه، تتذكر أختها وتحن لها؛

تقلب الصفحة الأخيرة في تلك الليلة؛ وتبكي..

فتقرأ تلك الجملة التي تكتبها مرارًا وتكرارًا على الهوامش والآن مطبوعة في هذه الرواية؛

"لعل ربك يراني أبكي؛ ينادي ملائكته ليقول؛

فلتقبضوا روح عبدي؛ إنه متعب".

النهاية الثالثة: الهروب

عدت حور نجوم السماء يوم بعد الآخر؛ تتسلى بها لياليها المتبقية في سجن غرفتها؛

لم تتحدث مع إنسان منذ أربعة أشهر؛ لا مع أصدقائها ولا مع أهلها؛ فكيف لها وقد جرد منها حق التعامل مع البشر؛ صدت أمها من جاء لرؤيتها وقيدتها في غرفتها ليلًا حتى لا تهرب.

ترك لها أبوها حرية الكتابة؛ لأنه بعدما انتهك حريتها وقرأ مذكراتها شاط غضبًا بما أجرمت بحقه في تلك المذكرات الخاصه... سألها لما أساءت إليه في المذكرات ونعتته "بالظالم النرجسي" فلم تجب حور.

ولعدم إجابتها؛ اصطفت الأسماء على لسانه بالسب قليلًا، وكلما سب كلما زاد غله وعصبيته فشد رأسها لترتطم بالأرض مرارًا وتكرارًا وهي تحاول بأن لا تصرخ فلا تزيد ضعفًا أمامه، عدم صراخها يشيطه غضبًا أكثر فأكثر فيكتف يديها ويصفعها على الرأس، حتى يأتيها نزيف وتفقد السمع في إحدى أذنيها... ذرفت دموعًا ولكنها لم تنبث بكلمة حتى انتهى؛

فقالت عندما استعادت رئتاها النفس "أيغضبك كلامي لأنه صحيح؟ ام لأنك قد أثبته لتوك؟"

فوجئ بأنها ردت عليه فزاد غضبه حتى احمرّ وجهه، لم يكن يصدق أنها تنظر في عينيه وهي تتحدث، تلك التي لم تقل جملة واضحة في محادثاتهم وتهتز من أقل صرخة... ألا ترى جبروتي؟ راهنت حور أن هذا ما يفكر فيه، ولكن كل ما كان في عقله دار حول تعجبه وغضبه منها... كانت سبب

تعاسته اللامتناهية.. كانت عبئًا من الله لاختبار صبره، لم تكن سوى مريضة نفسية دمرت حياته كما قال لها مرارًا وتكرارًا...

بعد تلك الحادثة بيومين اتصل زين مجددًا، قلقًا أن يكون أبي غير من رأيه ليرفض زين؛ نظر أبي إليّ وأنا في المطبخ أعد الطعام... ثم قال له:

– حدد معاد مع عائلتك أن تأتي الخميس المقبل للتقدم الرسمي؛ فدعنا ننتهي من هذا.

ابستمت حور لأول مرة منذ فترة؛ فأنهت الطعام على عجلة وأسرعت لغرفتها لتنتقي من أفتن الفساتين التي تملك وتتبعها أختها مشاركةً إياها فرحة لم تشهدها قبل، أم تحزن حور على كيف أن أباها ضاق صبرًا، ويريد التخلص منها فهذا واضح منذ ولادتها.

توضأت حور لتصلي أول صلاة لها بعد عصيان طويل... تصلي لتدعي لسعادتها،

تلتقي حور بزين وأهله فيفتنون بها... أخذت بضع أيام تستعيد صحة شكلها وتعتني بنفسها فتعجبت أمها من جمال ابنتها المنبوذه في ذلك الفستان الأصفر الطويل؛

وافق زين وأهله على الشرط الوحيد لدى أبيها؛ وهو كتب الكتاب في أقرب وقت؛ أما لحور شرطت على زين ثلاث شروط عندما تركهم الأهل ليتحدثوا وحدهم.

- الشرط الأول؛ لست ملاكًا ولست خاليةً من العيوب ومتوهم من يعتقد ذلك، وإن لم تدرك ذلك؛ فلن تفهمني، ولن تكن حياتنا سويًا إلا ضنك لا يرحم.
- الشرط الثاني؛ يوم تصبح زوجي تكون لي طوق رأسي، عائلتك عائلتي وإن غضبت منك يومًا أذهب لأمك لا لأمي... لأختك لا لأختي؛ ولك ليس لأبي، وإن رفضت هذا فلن أذهب لأحد ولكن ستعتليني شياطين النفوس.
- الشرط الثالث؛ العنف طريقة تعامل البهائم، فإن استعملته تعترف أنك متزوج من بهيمة وليس بشرية، و إن مدت يدك على طفل يخرج من رحمي لقطعتها فلا غفران لي في هذا... إن كان بيننا مشاكل سَمّها نقاشات فتقم التضحيات على كلينا؛ فأنا لست عدوتك.

زهل زين بعنفها في الحديث ولكنه استشف غضبها ورأى على رقبتها كدمة أسرعت في إخفائها؛ ففهم من قلبها ما لم تستطع قوله؛ طمأنها بكلمتين "إني لراعي ربي فيك، وأنا لتلعني ملائكته ليوم الدين إن عاملتك بالمثل" فابتسمت له ودموع فرحها تغمرها؛

قريبا تتزوج في حفل تتذكره؛ تنجب سمر وتمارا؛ تغني للتوأم الصغير بعد إرضاعهما.

عندما تشرق الشمس من غربها؛ نلتقي في حور العين

ونرى من فوق كل من كرهوا؛ لهيبًا من جمره

فندعوا له عز وجل.. يا الله يا واحد

خلقتنا معيوبين... فسامحنا إنّا لتائبين؛

تترك الطفلتين لزوجها زين الذي عاد توه من الصيدلية، تقبله، ترتدي فستانًا أسودًا، وتلف الحجاب حول رأسها، وتأخذ سيارتها فتتجه لمعرض الكتاب، وفور نزولها من السيارة يجتمع حولها المعجبون ليهنئوها على روايتها التي تستولي صفح الجرائد لتعاقدها مع صانعي الأفلام .

لترى أباها من بعيد خارجًا من المعرض حاملًا روايتها؛ بنت حور العين.

تمت بحمد الله

عن الرواية؛

بنت حور العين هي تمثيل (وليست ترجمة) للرواية الإنجليزية
"The Sixth Sign of Zodiac"
والتي أيضًا كتبتها مريم جهاد؛ أهداف الروايتين نقل صورة واضحة لمغزى حياة المراهقين التي تميت بالاكتئاب الحاد على مر أعوام، بطريقة تتناسب مع شتى الثقافات فتتمتع الرواية الإنجليزية بمنهاج غربي وثقافة أجنبية كما العربية تناسب الدول العربية بطريقة التفكير والأحداث؛

لعل عبرتها في نهايتها.

عن الروائية مريم جهاد؛

من مواليد ٢٠٠٢ ميت غمر الدقهلية؛

عاشت غربة إحدى عشر عامًا في الإمارات أبوظبي؛

تدرس الهندسة بالجامعة الأمريكية في القاهرة؛

تعتبر "بنت حور عين" أولى أعمالها العربية ورابع أعمالها الأدبية عامةً بعد؛

When the Beauty is the Beast

Death #7

The Sixth Sign of Zodiac

وتطمح مريم جهاد لتكون من رائدات الأدب، وتستغل صوتها بالتوعية ضد التنمر، العنف المجتمعي، وجميع سبل الاستغلال والالتواء.

ويومًا ما، تصبح من متحدثين منصة TEDx.

الفهرس

***

١. البداية	١
٢. الخذلان	١٩
٣. التظاهر	٣٥
٤. اللامبالاة	٥٩
٥. الـ(داندليون)	٧٥
٦. النهاية الأولى؛ الاستسلام	٨٩
٧. النهاية الثانية؛ الاستنكار	٩٥
٨. النهاية الثالثة؛ الهروب	١٠١